

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن ليكون منهاجا للبشرية وأكثر فيه من القصص لتكون عظة وعبرة لأصحاب الأذان الواعية والقلوب الحية، وبعد فهذا بحث تحت عنوان ((الملاح الدعوية في قصة موسى مع فرعون في القرآن الكريم)) أقدمه لجامعة ملايا الماليزية قاصدا به خدمة كتاب الله تعالى أولا ثم نبيل رسالة الماجستير في علوم القرآن سائلا المولى عز وجل أن يوفقنا جميعا لنكون من خدمة كتابه وبعد،،

لما كانت قصص القرآن الكريم تتميز عن غيرها بمزايا عديدة لا يمكن أن تجتمع في غيرها من القصص كان لها أعظم الأثر في النفوس وكانت ولا تزال من أفضل الأساليب المؤثرة والمواعظ البليغة، فقد تفعل القصة ما لا تفعله الكلمة والموعظة البليغة ومن هنا كان لا بد أن نعتني بقصص القرآن الكريم عناية خاصة ونتأمل في معانيها ونستفيد من أساليبها في دعوتنا ونستخلص منها العبر بالغوص في معانيها والبحث عن مكنوناتها لنحقق الغاية المنشودة ويكون ذلك القصص نفسه هادياً للمؤمنين إلى الطريق الصحيح، والصراط المستقيم.

ومن المعلوم أن الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السامع. فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفة من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس، ويرتاح المرء لسماحها، ويصغي إليها بشوق ولهفة، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات، والقصص الصادق يمثل هذا الدور في لغتنا العربية أقوى تمثيل، ويصوره في أبلغ صورته: قصص القرآن الكريم.

فمن القصص التي قصها الله علينا في كتابه العظيم للاعتبار والاتعاظ قصة موسى - عليه السلام - نبي الله الكليم ورسوله إلى بني إسرائيل مع فرعون عدو الله اللئيم الذي كان رمزاً من رموز الظلم والطغيان، وعلم من أعلام الجبروت والاستبداد، وقد وردت هذه

القصة في القرآن الكريم في عدة سور فقد حكتها سورة الأعراف ويونس وطه والشعراء والنمل والقصص والنازعات وغيرها، تارة بإسهاب وتفصيل وأخرى باختصار واقتصاد. ولا شك أن قصة موسى وفرعون من أكثر القصص تكرارا في القرآن الكريم " فقد ذكر موسى عليه السلام في القرآن الكريم مائة وست وثلاثين مرة " ^١ وهذا يدل على كثرة ما فيها من العبر والفوائد الحكم .

وهذه الأمور وغيرها مما يدعوننا إلى التدبر والتفكر في مدلولاتها وسياقاتها فقصص القرآن الكريم مليئة بالفوائد المبتوثة في كتب التفسير والتي تحتاج إلى جمع وترتيب لتكون سهلة المنال لمن أراد، وعلماء التفسير لم يألوا جهدا في ذكر معاني هذه القصة وشرح تفاصيلها وبعض فوائدها الدعوية ليستفيد الدعاة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان من هذه القصص ولكن هذه الفوائد جاءت في مقام توضيح المعاني غير مقصودة لذاتها حتى من أفرد منهم بعض قصص القرآن الكريم أو قصص الأنبياء في القرآن الكريم كان يراعي في كتاباته السرد التاريخي لأحداث القصة أكثر من عنايته بالغاية التي من أجلها جاءت القصة وهي العظة والعبرة وقد يذكر في بعض المواقف فائدة أو بعض الفوائد الدعوية كجانب من الجوانب ومن هنا تأتي أهمية أفراد هذه الفوائد والكتابة عنها وجمع المتفرق منها في بحث واحد متكامل.

^١ - عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، ط ٤ ص ٨٤٥.

وكان من أسباب اختيار هذا الموضوع ما يلي:

- ١ - ما رأيته من عناية القرآن الكريم بهذه القصة وكثرة ورودها في سور القرآن الكريم بسياقات متعددة ومختلفة.
- ٢ - أهمية الاستفادة من قصص القرآن الكريم في المجالات والدعوة .
- ٣ - وقوع كثير من الدعاة في أخطاء دعوية جسيمة لعدم استفادتهم من دعوة الأنبياء لقومهم.
- ٤ - ولأن الدعوة إلى الله عز وجل من الأمور التي يحتاجها الناس في كل زمن فالحق والباطل في صراع مستمر لن يتوقف حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما أهمية البحث فيمكن أن نجملها في النقاط التالية:

- ١ - ارتباط موضوع البحث بأجل كتاب وهو القرآن الكريم يكسب هذا البحث أهمية ربانية لأن القرآن كما هو معلوم أشرف العلوم ولأن شرف العلم بشرف المعلوم.
- ٢ - إعطاء إشارات وملامح دعوية لا بد منها في الدعوة إلى الله تعالى.
- ٣ - تبين القصد الأساسي من تكرار القصص في القرآن الكريم وهو أخذ العظة والعبرة والفائدة.
- ٤ - إظهار الإعجاز القرآني وهو يتحدث عن هذه القصة بشمولية تامة وبلاغة متميزة.
- ٥ - يقدم البحث مساهمة جديدة وهي الاستفادة من عوامل نجاح دعوة الأنبياء في الدعوات المعاصرة .

أما منهج البحث:

نظرا لعلاقة هذا البحث بالقرآن الكريم وكونه صورة من صور التفسير الموضوعي فسأعتمد في بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي للآيات القرآنية متبعا في ذلك الطريقة المعروفة عند السلف من تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسير القرآن بالسنة الصحيحة الثابتة ، ثم بأقوال الصحابة ثم التابعين وقد استشهد في مواطن كثيرة بكتب التفسير بالرأي الجائز معتمداً على تجميع كل النصوص القرآنية التي تتحدث عن قصة موسى مع فرعون وتتصل بها، ثم استعنت على فهم تلك النصوص بالرجوع إلى كتب التفسير ومعاجم اللغة وبعض الكتب الإسلامية الدعوية التي تحدثت عن جزئيات من الموضوع، كما استعنت بالحديث الشريف للدلالة على بعض المعاني المتصلة بالموضوع، ثم توسعت بالفهم وذلك بربط المعاني الجزئية بعضها مع بعض، والخروج بمفاهيم دعوية، ولم أتغافل في بحثي هذا عن الاستفادة من التقنيات المعاصرة فرجعت إلى الانترنت واطلعت على مواقع دعوية عديدة وقرأت الكثير مما يخدم موضوعي. وقيمت بإجراء بعض المقابلات والنقاشات حول موضوع البحث مع ثلة من المتخصصين في هذا المجال واستفدت منهم كثيرا .

ثم قمتُ بترتيب وتبويب تلك النصوص -بناء على ما تقدم من فهمي لها - وتوزيعها على الفصول والمباحث، وربطت بين تلك المفاهيم القرآنية وبين الواقع المعاش بأسلوب دعوي قادر على معالجة الظواهر الواقعية المستجدة.

وربما تكرر استشهادي بالآية الواحدة أكثر من مرة في مواضع متعددة، وذلك لتعدد المعاني التي تُفيدها الآية أو الآيات، وتلك سمة يتميز بها كتاب الله سبحانه. وربما-أيضا- جمعت العدد من الآيات التي تتحدث عن المعنى نفسه، ثم تحدثت عنها بشكل مجمل نظرا إلى المعنى العام الذي يجمعها.

وسأقتصر في دراستي على ما يخدم موضوع البحث من القصة أي ما يتعلق بقصة موسى مع فرعون دون التطرق إلى ما قبل ذلك من المولد والنشأة وما جرى له قبل التكليف

بالرسالة وكذلك أيضا لن أتطرق إلى قصة موسى مع بني إسرائيل وعبادة العجل وغيرها من الأحداث لأنها ليست مقصودة في هذا البحث فالبحت يتناول فترة زمنية محددة تبدأ بتكليف موسى بدعوة فرعون وتنتهي بإهلاك فرعون ونجاة موسى عليه السلام ، مع أن قصة موسى مع بني إسرائيل فيها أيضا من الدروس الدعوية والعبر الشيء الكثير ولكني أحببت أن أحصر هذا البحث بحدود زمانية تعتبر من أهم الفترات التي مر بها موسى عليه السلام في دعوته وهي فترة المواجهة مع فرعون ولأن فترة المواجهة هي التي يحتاجها الدعاة المعاصرين في مواجهة المدعوين.

وسأحرص في هذه الرسالة بإذن الله تعالى على اجتناب الإسرائيليات المبتوثة في بعض كتب التفسير مقتصرًا على الروايات الثابتة ليكون سهلا بعيدا عن التعقيد لمن أراد الفائدة. وقد واجهتني بعض الصعوبات أثناء عملية جمع المعلومات حيث وأغلب كتب التفسير لم تشر إلى الفوائد الدعوية التي تستفاد من قصة موسى عليه السلام بإشارات واضحة وأما كتب الدعوة فقد تحدثت عن الدعوة إجمالاً ولم تخص دعوة موسى بالدراسة وبناء على ذلك احتجت إلى الربط بين كتب التفسير وكتب الدعوة .

مصطلحات الرسالة:

عنوان هذه الرسالة هو (الملامح الدعوية في قصة موسى مع فرعون في القرآن الكريم).
فالملامح جمع ملامح وهو الإشارة السريعة قال في لسان العرب ((وَاللَّمْحَةُ النَّظْرَةُ بِالْعَجَلَةِ قَالَ الْفَرَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى كَلَّمَحٍ بِالْبَصْرِ قَالَ كَخَطْفَةٍ بِالْبَصْرِ وَلَمَحَ الْبَصْرُ وَلَمَحَهُ بِبَصْرِهِ وَالتَّلْمَاحُ تَفْعَالٌ مِنْهُ وَلَمَحَ الْبَرْقُ وَالنَّجْمُ يَلْمَحُ لَمَحًا وَلَمَحَانًا كَلَمَعَ وَبَرَّقَ لَامِعٌ وَلُوحٌ وَلَمَّاحٌ قَالَ فِي عَارِضٍ كَمُضِيٍّ الصَّبْحِ لَمَّاحٍ وَقِيلَ لَا يَكُونُ اللَّمْحُ إِلَّا مِنْ بَعِيدِ الْأَزْهَرِيِّ وَالتَّلْمَاحُ الصُّقُورُ الذَّكِيَّةُ قَالَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ الْجَوْهَرِيُّ لَمَحَهُ وَالْمَحَهُ وَالتَّمَحَهُ إِذَا أَبْصَرَهُ بِنَظَرٍ خَفِيفٍ وَالاسْمُ اللَّمْحَةُ وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ يَلْمَحُ فِي الصَّلَاةِ وَلَا يَلْتَفِتُ وَمَلَمَحَ الْإِنْسَانُ مَا بَدَأَ مِنْ مَحَاسِنِ

وجهه ومساويه وقيل هو ما يُلمَحُ منه واحدها مُحَةٌ على غير قياس)). وقد اخترت هذه اللفظة لأبين أن ما سأذكره من فوائد دعوية في هذه الرسالة يحتاج إلى بحث وغوص في معاني القصة وأحداثها ليصل إلى مثل هذه الفوائد والدعوة المقصود بها هنا الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى قال في اللسان ((والدعاة قوم يدعون الناس إلى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داع ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين أدخلت الهاء فيه للمبالغة والنبي صلى الله عليه وسلم داع لله تعالى وكذلك المؤذن)).^١

وأما القصة يقول الراغب الأصفهاني: ((القص تتبع الأثر يقال قصصت أثره والقص الأثر قال تعالى: (فارتدا على آثارهما قصصا)^٢ (وقالت لأخته قصيه)^٣، (وقص عليه القصص)^٤ والقصص الأخبار المتبعة.

قال تعالى (إن هذا هو القصص الحق)^٥ (لقد كان في قصصهم عبرة)^٦.

وفي اللسان (قال الأزهري القص إتباع الأثر ويقال خرج فلان قصصا في أثر فلن وقصا وذلك إذا اقتص أثره وقيل القاص يقص القصص لإتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوفا)^٧.

١- ابن منظور: محمد بن مكرم الأفيقي المصري، (٦٣٠- ٧١١هـ)، لسان العرب، ١٥ جزء، ط ١، دار صادر، بيروت الطبعة: الأولى ١٤/ ٢٥٩.

٢- سورة الكهف ٦٤ .

٣- سورة القصص ١١ .

٤- القصص ٢٥ .

٥- آل عمران ٦٢ .

٦- يوسف ١١١ .

٧- الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد بن محمد بن الفضل ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، تحقيق محمد سيد الكيلاني دار المعرفة بيروت ص ٤٠٤.

والمراد بالملاح الدعوية (أي الفوائد والإشارات الدعوية في قصة موسى مع فرعون في القرآن الكريم).

الدراسات السابقة:

بحسب علمي واطلاعي لم أجد دراسة سابقة تحمل نفس العنوان أو الموضوع الذي اخترته إلا أن هناك دراسات قريبة منها أو أوسع من ذلك ومنها

١- رسالة (للدليمي: معالم الدعوة في قصص القراءان الكريم - عبد الوهاب بن لطف الدليمي، رسالة دكتوراة)^١ وهي دراسة واسعة تناولت قصص القرآن الكريم عموماً وذكرت فيها معالم متنوعة في الدعوة إلى الله ولم تختص بقصة موسى مع فرعون وقد استفدت منه في مقدمة الرسالة وبعض الفصول المتعلقة بقصة موسى عليه السلام.

٢- كتاب فقه الدعوة من قصة موسى مع فرعون^٢ (وهو كتاب لعمارة: فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام تأليف محمد أحمد عمارة الأستاذ بجامعة الأزهر - مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٩٩٧) وهو قريب من عنوان رسالتي إلا أنه .

أولاً: ليس رسالة علمية وبالتالي فقد افتقر إلى الأسلوب الأكاديمي في الكتابة من توثيق المصادر وتقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول) وغير ذلك مما يميز الدراسات الأكاديمية عن غيرها.

ثانياً: المؤلف تناول قصة موسى وفرعون من خلال سورتي طه والشعراء فقط ولم تشمل دراسته بقية السور كالأعراف والقصص مع كثرة الفوائد الموجودة في هذه السور مما يخدم نفس الهدف ولذلك فإن هذا الكتاب وان كان يحمل عنواناً قريباً من عنوان رسالتي إلا أنه يختلف عنها اختلافاً كبيراً من حيث المحتوى والمضمون والهدف.

١ - الدليمي: معالم الدعوة في قصص القراءان الكريم - عبد الوهاب بن لطف الدليمي رسالة دكتوراة - مكتبة الإرشاد صنعاء - الطبعة الثانية ١٩٨٩ م

٢ - عمارة: فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام تأليف محمد أحمد عمارة الأستاذ بجامعة الأزهر - مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٩٩٧ .

٣- رسالة ماجستير تحت عنوان (شخصية فرعون في القرآن الكريم) إعداد قاسم توفيق قاسم خضر قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التفسير بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس-فلسطين.

حصلت على نسخة الكترونية منها استفدت منها كثيرا في بعض التفاصيل المهمة حول شخصية فرعون لكنني لم أثبتها ضمن المراجع لعدم عثوري على نسخة مطبوعة من الرسالة ولكن أشير إليها هنا من باب الأمانة العلمية فقد استفدت منها كثيرا في بعض موطن في هذه الرسالة.

٤ - رسالة ماجستير تحت عنوان (الفساد السياسي الفرعوني دراسة معرفية إسلامية)^١ لأحمد فتحي جمعة

وهي محاولة جادة لبيان وإبراز جوانب الفساد في السياسة الفرعونية فبعد مداخل ومقدمات عامة وتاريخية وجغرافية وسياسية ومنهجية ينتقل الباحث ليتناول لب الموضوع في الفصلين الأخيرين الخامس والسادس ففي الفصل الخامس ركز الباحث حديثه حول فساد فرعون في مسألة ادعائه الألوهية ومن ثم تكذيبه بالرسالة التي حملها موسى عليه السلام فالبحث كان مركزا على فساد السياسات الفرعونية ولم يركز على أحداث القصة ومع ذلك فقد استفدت منه كمرجع مهم في الرسالة .

٥- كتاب نصوص الدعوة في القرآن الكريم دراسة تأصيلية للدكتور محمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار وهو كما يتضح من العنوان يتناول نصوص الدعوة في القرآن الكريم عموما سواء ما كان منها في قصص الأنبياء أو في غيرها وهو مرجع مهم في هذه الدراسة.

١ - أحمد فتحي بن جمعة - بحث تكميلي قدم لنيل درجة الماجستير في كلية معارف الوحي والتراث - الجامعة الإسلامية العالمية بإليزيا ١٩٩٧ . (غير منشور)

هذه هي الدراسات التي شعرت أنها قريبة إلى حد ما من موضوع رسالتي وهناك دراسات أخرى حول قصص القرآن الكريم أو الدعوة سأذكرها إن شاء الله تعالى ضمن مراجع البحث والله تعالى هو الموفق للصواب.

محتويات الرسالة:

ستكون الرسالة بإذن الله تعالى مقسمة إلى أربعة فصول بعد المقدمة والتمهيد على النحو

التالي:

الفصل التمهيدي.

الفصل الأول: في سياقات قصة موسى مع فرعون في القرآن

المبحث الأول: الآيات التي ذكرت فيها قصة موسى مع فرعون بتفاصيل دقيقة.

سياقات القصة في سورة الأعراف، سياقات القصة في سورة يونس، سياقات القصة في

سورة طه، سياقات القصة في سورة الشعراء، سياقات القصة في سورة القصص.

المبحث الثاني: الآيات التي ذكرت فيها قصة موسى مع فرعون مع تركيزها على جانب

معين من هذه القصة مع تعليقات مختصرة.

الفصل الثاني: العقيدة في دعوة موسى عليه السلام

المبحث الأول: التوحيد في قصة موسى مع فرعون.

المبحث الثاني: التحذير من الشرك في قصة موسى مع فرعون.

المبحث الثالث: الولاء والبراء في قصة موسى مع فرعون.

المبحث الرابع: تأكيد الإيمان بالبعث واليوم الآخر.

الفصل الثالث: أساليب الدعوة في قصة موسى مع فرعون

المبحث الأول: أسلوب الدعوة بالقدوة في دعوة موسى لفرعون.

المبحث الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب.

المبحث الثالث: أسلوب الحوار في دعوة موسى عليه السلام.

- المبحث الرابع: أسلوب الموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن.
- الفصل الرابع: عوامل النجاح في قصة موسى مع فرعون
- المبحث الأول: الأخذ بالأسباب .
- المبحث الثاني: الارتباط بالدعاء .
- المبحث الثالث: الصبر وعدم الاستعجال .
- المبحث الرابع: ترتيب الأولويات .
- الخاتمة والنتائج والتوصيات.

تمهيد

قبل البدء في فصول الرسالة نقدم تمهيدا نذكر فيه نبذة تعريفية بأعلام القصة وهما موسى عليه السلام وفرعون الطاغية فأما موسى عليه السلام فهو (موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام) ^١ واسم موسى هو اسم أعجمي وقيل أن اسم موسى مكون من مقطعين هما مو وشا ومواسم للماء في اللغة المصرية القديمة وشا بمعنى الشجر وقيل سمي بهذا الاسم لأن أمه ألقته في النهر وقيل هو من الكلمة المصرية مس ومعناها طفل و اسم أبيه عمران للحديث الذي ورد في صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (مررت ليلة أسري بي على موسى ابن عمران) ^٢ وأما اسم أمه فلم يذكر ولا يعرف . وأما فرعون فهو علم على كل من ملك مصر والقرآن الكريم لم يذكر لنا اسم فرعون واكتفى بلقبه لأن الهدف هو إبراز الشخصية بغض النظر عن الاسم قال ابن جرير (وقد اختلف في اسمه فقيل إن اسمه كان مصعب ابن ريان وقيل هو الوليد بن مصعب وعند أهل الكتاب هو قابوس والمشهور في كتب التاريخ أن اسمه الوليد ابن مصعب وكنيته أبو العباس وقيل الوليد وقيل أبو مرة) ^٣ وفرعون لغة من (الفرعنة: الكبر والتجبر. وفرعون كل نبي ملك دهره... و فرعون الذي ذكر الله تعالى في كتابه من هذا، وإثما ترك صرفه في قول بعضهم لأنه لا سمي له كإبليس فيمن أخذه من

١ - ابن كثير أبو الفداء إسماعيل ، قصص الأنبياء ص ٢٥٨ تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز مكتبة دار الثقافة ط ٥ ١٩٩٦ م .

٢ - مسلم أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري . صحيح مسلم :تاب الأيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات حديث رقم ٢٦٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر ط ٣ عام ١٩٨٣ م.

٣ - الطبري . ابن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . المعروف بتفسير الطبري ج ١ ص ٢٨٢ تخريج صدقي جميل العطار دار الفكر ١٩٩٥ م .

أبلس. وقال آخرون: أنّ فرعون هذا علم أعجمي ولذلك لم يصرف اسمه... وكل عات فرعون. والعتاة الفراعنة، وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي دهاء وتكبر).^١

فهذه نبذة مختصرة وتعريفية للشخصيتين البارزتين في هذه الرسالة وأما الزمان الذي دارت فيه أحداث القصة فليس عندنا ما نعتمده عن زمان غرقه إلا ما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما (أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجّى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكراً لله. فقال: أنا أولى بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه)^٢. والحديث فيه دلالة على يوم غرقه لا سنة غرقه.

وأما ورود اسم موسى في القرآن الكريم وتكراره ((فقد حازت سورة الأعراف على النصيب الأكبر من إجمالي عدد مرات ذكر لفظ موسى في القرآن الكريم فقد ذكر فيها إحدى وعشرين مرة ثم تلتها سورة القصص بثمان عشرة مرة ثم سورة طه بسبع عشرة مرة ثم سورة البقرة بثلاث عشرة مرة ثم سورتا يونس والشعراء بثمان مرات لكل منهما ثم سورة غافر بخمس مرات وتشترك سورة النساء والمائدة والأنعام وإبراهيم والنمل وهود والإسراء بثلاث مرات لكل سورة منهم ومرتان في كل من سور الكهف والمؤمنون والأحزاب والصفوات والأحقاف ومرة واحدة في كل من سور آل عمران ومريم والأنبياء والحج والفرقان والعنكبوت والسجدة وفصلت والشورى والذاريات والنجم والصف والنازعات والأعلى))^٣ فيكون إجمالي ما ذكر مائة وست وثلاثين مرة.

١ - لسان العرب، مادة: فرعن ٣٢٣/١٣. وفي مختار الصحاح: فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر، وكل عات فرعون. والعتاة الفراعنة. وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي دهاء ومكر. مختار الصحاح، مادة: فرعن، ٢٠٩/١.

٢ - البخاري: أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل الجعفي، ١٩٤-٢٥٦هـ، الجامع الصحيح المختصر صحيح البخاري، ٦ أجزاء، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م. كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى وهل أتاك حديث موسى وكلم الله موسى تكليماً، ٣/١٢٤٤/٣٢١٦.

٣ - الخالدي، صلاح عبد الفتاح. القصص القرآني. عرض وقائع وتحليل أحداث ٢٧٠ / ٢ دار القلم. ط ١. ١٩٨٣. بتصرف.

الفصل الأول

في سياقات قصة موسى مع فرعون في القرآن الكريم

المبحث الأول:

الآيات التي ذكرت فيها قصة موسى مع فرعون بتفاصيل دقيقة.

المبحث الثاني:

الآيات التي ذكرت فيها قصة موسى مع فرعون بطريقة مختصرة.

تمهيد:

لقد تعددت سياقات قصة موسى عليه السلام مع فرعون في القرآن الكريم ما بين سياقات مفصلة وسياقات مجملة مختصرة بحسب ما يقتضيه السياق وذلك من تمام إعجاز القرآن الكريم واختلاف الأغراض الذي من أجلها جاءت القصة قال الزمخشري مبينا ذلك في الكشف (اختلاف العبارات بين آيات السور لإفادة الأغراض المختلفة)^١ فكل سورة جاءت بسياق يتناسب مع غرضها وهدفها ومضمونها قال سيد قطب في الظلال، (وفي كل مرة كانت الحلقات التي تعرض منها أو الإشارات متناسقة مع موضوع السورة، أو السياق الذي تعرض فيه، وكانت تشارك في تصوير الموضوع الذي إليه السياق.. وكذلك لا نجد تكرارا في عرض القصة أبدا على كثرة ما عرضت في سور القرآن. لأنّ هذا التنوع في اختيار الحلقات التي تعرض، ومشاهد كل حلقة، والجانب الذي يُختار من كل مشهد، وطريقة عرضه... كل أولئك يجعلها جديدة في كل موضع. متناسقة مع هذا الموضوع)^٢.

وأما تقسيم هذا الفصل فقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين مبحث اذكر فيه السياقات المفصلة ومبحث آخر اذكر فيه السياقات المختصرة وذلك لتتعرف في بداية الأمر على أحداث القصة من خلال السياق القرآني المميز وفصولها الرائعة وبعد ذلك نبدأ في الخوض في الفوائد الدعوية التي تستنبط من أحداث القصة بعد أن نكون قد استوعبنا فصولها ومرآحليها وتكون نفوسنا قد تهيأت للاستفادة والاعتبار بها فنبدأ بالمبحث الأول.

١ - الزمخشري . أبو القاسم جار الله محمود عمر الخوارزمي . الكشف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ٣ / ١٧٥ . دار الفكر ط ١ عام ١٩٧٧ م .

٢ - سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م . ٦ / ١٩٦ - ١٩٧ مع بعض التصرف.

المبحث الأول

الآيات التي ذكرت فيها قصة موسى مع فرعون بتفاصيل دقيقة

سأذكر في هذا الفصل إن شاء الله تعالى الآيات التي وردت في قصة موسى مع فرعون بتفاصيل دقيقة مع تعليقات مختصرة على ما ورد في هذه الآيات من أقوال المفسرين ومن معاني المفردات الجلية في الآيات.

لقد ذكرت قصة موسى عليه السلام مع فرعون في القرآن الكريم بتفاصيل دقيقة في خمس سور من القرآن الكريم خصوصاً ما يتعلق بموضوع هذه الرسالة وهو أحداث القصة منذ التكليف وحتى إهلاك فرعون وهذه السور هي:

(الأعراف - ويونس - طه - الشعراء - القصص) سأتناولها إن شاء الله تعالى في هذا الفصل هذه الآيات على شكل مباحث مع بعض التعليقات والإيضاحات المختصرة.

أولاً: سياق القصة في سورة الأعراف

سورة الأعراف هي أول سورة حسب ترتيب القرآن الكريم تناولت هذه القصة بتفاصيل دقيقة وذلك في الآيات التالية :

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ [١٠٣] وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ [١٠٤] حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [١٠٥] قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [١٠٦] فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ [١٠٧] وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ [١٠٨] قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ [١٠٩] يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأَيَّاءَ تَأْمُرُونَ [١١٠] قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ [١١١] يَا تَوَكُّبِكُمْ لِسَاحِرِ عَلِيمٍ [١١٢] وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ [١١٣] قَالَ نَعَمْ وَإِنكُم لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ [١١٤]

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ [١١٥] قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
 أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ [١١٦] وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ
 فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ [١١٧] فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١١٨] فغلبوا هُنَالِكَ
 وَانقلبوا صَاغِرِينَ [١١٩] وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ [١٢٠] قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [١٢١]
 رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ [١٢٢] قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي
 الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [١٢٣] لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافِ
 ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ [١٢٤] قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ [١٢٥] وَمَا نَقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ
 رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [١٢٦] وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدُرُ
 مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآهَتِكَ قَالَ سَتَقْتُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ
 وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ [١٢٧] قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [١٢٨] قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا
 قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ [١٢٩] وَلَقَدْ
 أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ [١٣٠] .^١

في هذه السورة يخبرنا سبحانه وتعالى أنه بعد أن كلف الله موسى عليه السلام بالمهمة
 الشاقة وهي دعوة فرعون إلى عبادة الله تعالى توجه موسى بكل حزم وثقة بمعية الله تعالى
 ووقف بين يدي فرعون وبدأ معه الحوار .

فقد ذكرت الآيات تفاصيل الحوار الذي دار بين موسى وفرعون وموقف السحرة
 وردود أفعال فرعون معهم ومع موسى ولنذكر هنا بشكل مختصر بعض تفاصيل الحوار قال
 ابن كثير رحمه الله ((يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإجماعه إياه بالحجة وإظهاره

الآيات البيّنات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر فقال تعالى: [وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ]١.

ثم بين ابن كثير تفاصيل هذه المناظرة على ضوء ما ورد في الآيات الكريمة ثم ذكر موقف الملأ من قوم فرعون من هذه المناظرة عند قوله تعالى: [قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ] [١٠٩] يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ]، قال ابن كثير ((أي قال الملأ وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون بعد ما رجع إليه روعه واستقر على سرير مملكته بعد ذلك قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم فوافقوه وقالوا كمثلته وتشاوروا في أمره كيف يصنعون في أمره وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته وظهور كذبه وافترائه وتخوفوا أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه كما قال تعالى: [وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ]٢، فلما تشاوروا في شأنه واتتمروا بما فيه اتفق رأيهم على ما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم في قوله: [قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمُدَائِنِ حَاشِرِينَ] [١١١] يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ]٣، قال ابن عباس: (أرجه) أي أخره وقال قتادة احبسه ((وأرسل)) أي ابعث في المدائن أي الأقاليم ومدائن ملكه حاشرين أي من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم وقت كان السحر في زمانهم غالبا كثيرا ظاهرا واعتقد من اعتقد منهم وأوهم من أوهم منهم أن ما جاء به

١ - ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (٧٠١-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، ٤ أجزاء، دار الفكر،

بيروت، ١٤٠١هـ. ٢ / ٣١٥.

٢ - القصص: ٦.

٣ - الأعراف ١٠٩-١١٠.

موسى عليه السلام من قبيل ما تشعبه سحرتهم فلهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات))^١.

ثم بينت الآيات بعد ذلك مناظرة موسى مع السحرة الذين جاء بهم فرعون ليبينوا بطلان دعوة موسى عليه السلام وكيف أنها انتهت بغلبة موسى على السحرة وإيمان السحرة ثم تهديد فرعون لهم بالقتل والصلب وقطع الأرجل والأيدي وهكذا يختم السياق في هذه السورة الكريمة بثبات السحرة وتحملهم للمصير بعد الإيمان والله تعالى ولي المؤمنين.

ثانياً: سياقات القصة في سورة يونس

يلي سورة الأعراف بحسب ترتيب المصحف من السور التي ذكرت قصة موسى عليه السلام بتفاصيل دقيقة سورة يونس حيث ذكر الله تعالى أحداث القصة في الآيات التالية : قال تعالى: [فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] [٧٢] فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ [٧٣] ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِهَا كَذَّبُوا بِهَا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ [٧٤] ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ [٧٥] فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ [٧٦] قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ [٧٧] قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ [٧٨] وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ [٧٩] فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ [٨٠] فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ [٨١] وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ [٨٢] فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ

١ - ابن كثير الجزء الثاني ص ٣١٦ و ٣١٧ مرجع سابق.

يَفْتَنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ [٨٣] وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ
آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ [٨٤] فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ [٨٥] وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [٨٦] وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا
لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [٨٧] وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ
عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [٨٨] قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ
دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَجِيبَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [٨٩] وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي
آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ [٩٠] الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ
[٩١] فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ
[٩٢].

في هذه السورة جاءت القصة مرة أخرى لكن بأسلوب جديد، قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية ((ذكر تعالى قصة السحرة مع موسى، عليه السلام، في سورة الأعراف، وقد تقدم الكلام عليها هناك. وفي هذه السورة، وفي سورة طه، وفي الشعراء؛ وذلك أن فرعون -لعنه الله- أراد أن يتهرج على الناس، ويعارض ما جاء به موسى، عليه السلام، من الحق المبين، بزخارف السحرة والمشعبذين، فانعكس عليه النظام، ولم يحصل له ذلك المرام، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام، و [فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ] فظن فرعون أن يستنصر بالسحار، على رسول عالم الأسرار، فخاب وخسر الجنة، واستوجب النار.

١ - يونس: ٧٢-٩٢.

٢ - الشعراء: ٤٦-٤٨.

[وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْتَمُونَ]؛ وإنما قال لهم ذلك لأنهم اصطفوا - وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعتاء الجزيل - [قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا]، فأراد موسى أن تكون البداءة منهم، ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم؛ ولهذا لما [أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ]، انتهى كلامه رحمه الله^٣. كما ذكر الله تعالى في هذه الآيات أن ما يفعله فرعون من محاربة الدعوة وكذلك استعانته بالسحرة من أنواع الفساد قال تعالى: [فَلَمَّا أَلْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ]، (أى جنس عمل المفسدين على الإطلاق فيدخل فيه السحر دخولا أوليا)، فالآية دليل على أن السحر - الذي كان فرعون يرباه وينفق عليه من عمل المفسدين. (والمعنى أن الله لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه وعمل فيها بمعاصيه)^٤ (ولا يجعل عملهم نافعا لهم)^٥.

وحصل ذلك حين حاول فرعون من خلال السحر - الذي كان جزءا من نظامه - أن ينتصر على موسى عليه السلام ويعارض ما جاء به عليه السلام من الحق المبين بزخارف

١ - طه: ٦٥، ٦٦.

٢ - الأعراف: ١١٦.

٣ - ابن كثير ج/ ٢ ص ٢٣٢ مرجع سابق.

٤ - يونس: ٨١.

٥ - أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العماري. تفسير أبو السعود أو ما يسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ترتيب عبد اللطيف عبد الرحمن. دار الكتب العلمية. بيروت ط ١ عام ١٩٩٩ م ١٧٠/٤.

٦ - الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، (٢٢٤-٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ٥ أجزاء، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ. ١١/١٤٨.

٧ - الواحدي: أبو الحسن، علي بن أحمد، (ت ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، جزءان، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط ١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ. ١/٥٠٥.

السحرة، عند ذلك قال موسى عليه السلام: [فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ] ثم بينت الآيات حال فرعون لما عاين الغرق، ولم يعد يملك النجاة (قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) سقطت عنه كل الادعاءات الزائفة، وتضائل، فلم يكتفي بأن يعلن إيمانه، بل والاستسلام أيضا (وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) لكن بلا فائدة، فليس الآن وقت التوبة، بعد أن سبق العصيان والاستكبار في وقت الإمكان (الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ). وبين الله تعالى في نهاية الأمر لفرعون أنه قد انتهى وقت التوبة المحدد له وهلك. وقد انتهى الأمر ولا نجاة له. وإنما سينجو جسده وحده. لن تأكله الأسماك، ولن يحمله التيار بعيدا عن الناس، بل سينجو الجسد ليكون آية لمن خلفه.

قال تعالى: [فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ]، وبهذه الخاتمة أسدل الستار على طغيان فرعون. ولفظت الأمواج جثته إلى الشاطئ بعد ذلك. وولى عهد الظلم والطغيان تماما عن المصريين. لا يحدثنا القرآن الكريم عما فعلوه بعد سقوط نظام الفرعون وغرقه مع جيشه. لا يحدثنا عن ردود فعلهم بعد أن دمر الله ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يشيدون. يسكت السياق القرآني عنهم. ويستبعدهم تماما من التاريخ والأحداث وكما يقال انتهوا إلى مزبلة التاريخ وهكذا يكون جزاء الظالمين في كل زمان ومكان.

ثالثاً: سياق القصة في سورة طه

سورة طه أيضا من السور التي تناولت قصة موسى مع فرعون ببعض التفاصيل الدقيقة وذلك من مطلع السورة في قوله تعالى: [وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى [٩] إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى [١٠] فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى [١١] إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى [١٢] وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى [١٣] إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي [١٤]

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ [١٥] فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ
 بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ [١٦] وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ [١٧] قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا
 وَأَهْوُسُ بِهَا عَلَىٰ غَمِّي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ [١٨] قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَىٰ [١٩] فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ
 حَيَّةٌ تَسْعَىٰ [٢٠] قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ [٢١] وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ
 جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ [٢٢] لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ [٢٣] أَذْهَبَ إِلَىٰ
 فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ [٢٤] قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي [٢٥] وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي [٢٦] وَاحْلُلْ عُقْدَةً
 مِّن لِّسَانِي [٢٧] يَفْقَهُوا قَوْلِي [٢٨] وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي [٢٩] هَارُونَ أَخِي [٣٠]
 اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي [٣١] وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي [٣٢] كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا [٣٣] وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا [٣٤]
 إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا [٣٥] قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ [٣٦] وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ
 [٣٧] إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ [٣٨] أَنْ اقْذِيبِي فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيبِي فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ
 بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي [٣٩] إِذْ تَمَنَّىٰ
 أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ
 نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ
 [٤٠] وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي [٤١] أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنبَأُ فِي ذِكْرِي [٤٢] أَذْهَبَا إِلَىٰ
 فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ [٤٣] فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ [٤٤] قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ
 يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ [٤٥] قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ [٤٦] فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا
 رَسُولَا رَبِّكَ فَارْسُلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَن
 اتَّبَعَ الْهُدَىٰ [٤٧] إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ [٤٨] قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا
 مُوسَىٰ [٤٩] قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ [٥٠] قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ
 [٥١] قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ [٥٢] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
 مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ [٥٣]
 كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ [٥٤] مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ

وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى [٥٥] وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى [٥٦] قَالَ أَجِئْتَنَا
 لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى [٥٧] فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا
 لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى [٥٨] قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ مُحْشَرَ النَّاسِ ضُحًى
 [٥٩] فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى [٦٠] قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 فَيَسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى [٦١] فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى [٦٢]
 قَالُوا إِنْ هَذَا لِسَاحِرٍ إِنْ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى
 [٦٣] فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّو صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى [٦٤] قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ
 تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى [٦٥] قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ
 سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى [٦٦] فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى [٦٧] قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى
 [٦٨] وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى
 [٦٩] فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى [٧٠] قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ
 لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبْكُمْ
 فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْلَمَنَّ أَنِّي أَنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى [٧١] قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ
 الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [٧٢] إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا
 لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى [٧٣] إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا
 فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى [٧٤] وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ
 الدَّرَجَاتُ الْعُلَى [٧٥] جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ
 تَزَكَّى [٧٦] وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا
 تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى [٧٧] فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ [٧٨]
 وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ وَمَا هَدَى [٧٩]، تميزت هذه السورة بذكر تفاصيل لم تذكر في غيرها

من السور بالرغم من قصر المقاطع والفواصل إلا أن هناك دقة في الألفاظ وقوة في المعاني وقد بدأت السورة في ذكر أحداث القصة من بداية التكليف بالذهاب إلى الطاغية ثم الحوار مع فرعون وهو الجزء البارز في هذه السورة قال السعدي رحمه الله تعالى وهو يبين طبيعة المهمة التي أوكلت إلى موسى عليه السلام ((لما أوحى الله إلى موسى، ونبأه، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون، ملك مصر، فقال: [أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى] أي: تَمرَدَ وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والإلهية -قبحه الله- أي: وطغيانه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله، أنه لا يعذب أحدا، إلا بعد قيام الحجّة بالرسول، فحيث علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملا عظيما، حيث أرسل إلى هذا الجبار العنيد، الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام، وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامثل أمر ربه، وتلقاه بالانشراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي ﴿هي﴾ من تمام الدعوة، فقال: [رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي] أي: وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذى القولي والفعل، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم.

قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفُتُّوا مِنْ حَوْلِكَ] وعسى الخلق يقبلون الحق مع اللين وسعة الصدر وانشراحه عليهم.

[وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي] أي: سهل علي كل أمر أسلكه وكل طريق أقصده في سبيلك، وهون علي ما أمامي من الشدائد، ومن تيسير الأمر أن ييسر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله. [وَاحْلُلْ

عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي] وكان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام كما قال المفسرون كما قال الله عنه أنه قال [وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا] فسأل الله أن يحل منه عقدة يفقهها ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عن المعاني.

[وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي] أي معيناً يعاونني ويؤازرنني ويساعدني على من أرسلت إليهم وسأل أن يكون من أهله لأنه من باب البر وأحق ببر الإنسان قرابته ثم عينه بسؤاله فقال [هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي] أي قوني به وشد به ظهري قال الله [سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا].

[وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي] أي في النبوة بأن تجعله نبياً رسولاً كما جعلتني.

ثم ذكر الفائدة في ذلك فقال [كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا] علم عليه الصلاة والسلام أن مدار العبادات كلها والدين على ذكر الله فسأل الله أن يجعل أخاه معه يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل وغيره من أنواع العبادات

[إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا] تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم فمن علينا بما سألناك وأجب لنا فيما دعوناك)) انتهى كلام السعدي رحمه الله تعالى بتصريف^١. ومما جاء أيضاً في تفسير هذه الآيات ما ذكره أبو السعود في تفسيره فقال (فقد طلب موسى من ربه أن يشرح له صدره ويفتح قلبه ويجعله عليماً بثئون الحياة وأحوال الخلق ويجعله حليماً ويوسع صدره ليتحمل المشاق وردية الأخلاق)^٢.

١ - السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر: مؤسسة

الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين الجزء الأول ص ٤٥٣ و ٤٥٤.

٢ - أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العماري . تفسير أبو السعود أو ما يسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٤ / ٢٧٦ ، ترتيب عبد اللطيف عبد الرحمن . دار الكتب العلمية، بيروت ط ١ عام ١٩٩٩م.

والملاحظ في هذه السورة أنها نقلت تفاصيل في مخاطبة الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام لم يذكر في سورة أخرى في قوله تعالى: [إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى [١٠] فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى [١١] إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى [١٢] وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى [١٣] إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي [١٤] إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى [١٥] فَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى [١٦] وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى [١٧] قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى [١٨] قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى [١٩] فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى [٢٠] قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى [٢١] وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى [٢٢] لِتُزَيِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى [٢٣] اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى [٢٤] قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي [٢٥] وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي [٢٦] وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي [٢٧] يَفْقَهُوا قَوْلِي [٢٨] وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي [٢٩] هَارُونَ أَخِي [٣٠] اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي [٣١] وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي [٣٢] كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا [٣٣] وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا [٣٤] إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا [٣٥] قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى [٣٦]، من خلال هذه الآيات نجد أنه لما كانت المهمة التي كلف بها موسى مهمة شاقة ولما كان المدعو الذي سيبلغه موسى الدعوة على قدر كبير من الصفات السيئة وحب الجريمة والعلو والفساد فإن من الطبيعي لمن يريد مواجعتهم أن يكون على قدر كبير من الهمة والعزيمة والتحمل، مع ما يصاحب ذلك من الوسائل الضرورية والتي لا بد منها، لتكون في حدها الأدنى كافية للوقوف أمام طغيان فرعون والقيام بالوظيفة الملقاة على عاتق الداعية إلى الله سبحانه وتعالى وهذا درس مهم للدعاة في كل زمان أن يستعدوا المهمة الدعوة بما تحتاج إليه من الوسائل والعزيمة والهمم. وهذا ما دل

عليه قوله تعالى: قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى [٢١] وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى [٢٢] لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى [٢٣] اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى [٢٤]، (فبعد أن أنسه بمعجزتي العصا واليد، وأراه ما يدل على أنه رسول، ومهد له تلك المقدمات، أمره بالذهاب إلى فرعون وأمره أن يدعوهم) ٢، وليس هذا إلا لأن موسى عليه السلام قادم على مهمة صعبة وهي: قول الحق أمام فرعون الذي طغى.

وهكذا كان الخطاب من الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: اذهب إلى فرعون (الذي خرجت فاراً منه وهارباً، فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومره فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم، فإنه قد طغى وبغى وأثر الحياة الدنيا ونسي الرب الأعلى... فاستشعر موسى عليه السلام ثقل المهمة، فتوجه إلى الله بالسؤال أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه -سبحانه- قد أمره بأمر عظيم وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم وأشدهم كفراً وأكثرهم جنوداً وأعمرهم ملكاً وأطغاهم وأبلغهم تمرداً، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله ولا يعلم لرعاياه إلهاً غيره) ٢.

فكان ردّ موسى عليه السلام ببسط مسألته، وهو يستشعر حجم المهمة الموكل بها وخطورتها، فطلب كل ما يساعده على المواجهة؛ ذلك أن موسى عليه السلام تربى في قصر فرعون ويعلم من هو فرعون، ويعلم ماذا فعل ببني إسرائيل، فطلب من الله التيسير قال تعالى: [قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي [٢٥] وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي [٢٦] وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي [٢٧] يَفْقَهُوا قَوْلِي [٢٨] وَاجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي [٢٩] هَارُونَ أَخِي [٣٠] اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي [٣١]

١ - طه: ١٩-٢٤.

٢ - القرطبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، ت ٦٧١، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠ جزءاً، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط ٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢ هـ.

٣ - تفسير ابن كثير ١٤٧/٣ مرجع سابق مع بعض التصرف.

وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي [٣٢]، لآته ضاق موسى صدرا بما كُلف من مقاومة فرعون وجنوده، فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق وينوره بالإيمان والنبوة حتى لا يخاف فرعون وجنوده، وليحتمل الوحي والمشاق وردى الأخلاق من فرعون، وسأل الله أن يسهل عليه ما أمره به وبعثه له من تبليغ الرسالة إلى فرعون، وأن يجعل عقدة من لسانه، وأن يجعل له وزيرا من أهله هارون أخيه: أي ظهيرا يعتمد عليه ويعينه على تبليغ الرسالة^٢.

ثم تمضي الآيات تبين الحوار الذي دار بين موسى وفرعون بأسلوب قصصي رائع حتى تنتهي بإعلان انتصار الحق على الباطل وإيمان السحرة. تعريض من موسى بفرعون وقومه وذم لهم وإخبار بأنهم ليسو من أولى النهى والعقول المتفكرة لأنهم لم يلتفتوا إلى هذه الآيات الكونية الدالة على الوحانية ولم يتدبروها^٣.

ويلاحظ كذلك في هذه السورة أن فرعون طلب من موسى البرهان على صدق كلامه فطلب منه موعدا ليتبارى مع سحرة فرعون الذين كان فرعون يثق كثيرا في مهاراتهم ولكن الله أيد رسوله بالمعجزة الخارقة التي غلب بها سحرة فرعون قال تعالى مبينا ذلك: [فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى [٥٨] قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى [٥٩] فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى [٦٠] قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى [٦١] فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى [٦٢] قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى [٦٣] فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوَا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى [٦٤] قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى [٦٥] قَالَ بَلْ

١ - طه: ٢٥-٣٢.

٢ - القرطبي ١٩٢/١١ مرجع سابق والنسفي: أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، ٤ أجزاء. ٥٤، ٥٣/٣.

٣ - الخالدي القصص القرءاني مرجع سابق ٢ / ٤١١.

أَلْقُوا فَإِذَا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى [٦٦] فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى [٦٧] قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى [٦٨] وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى [٦٩].^١

(وقد كان تأييد موسى بالمعجزات أمر ضروري اقتضته حكمة المولى عز وجل فهو مرسل إلى الطاغية فرعون أعتى ملوك الأرض وأغرقهم حضارة وأشدهم استعبادا للخلق وهو مرسل لاستنقاذ قوم شربوا من كؤوس الذل حتى استمروا مذاقه فمردوا عليه واستكانوا دهرا طويلا والذل يفسد الفطرة حتى تأسن وتتعضن ويذهب ما فيها من الخير فاستنقاذ هؤلاء أمر عسير)^٢.

ويعلن السحرة حقيقة المعركة (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتُنَا) فلا يطلبون الصفح والعفو من عدوهم، إنما يطلبون الثبات والصبر من ربهم (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ). فيقف الطغيان عاجزا أمام هذا الوعي وهذا الاطمئنان. عاجزا عن رد هؤلاء المؤمنين لطريق الباطل من جديد. فينفذ تهديده، ويصلبهم على جذوع النخل ولا يثنيهم ذلك عن الحق.

رابعاً: سياقات القصة في سورة الشعراء

هذه السورة العظيمة أيضا تناولت قصة موسى عليه السلام في أوائل آياتها وصفحاتها وهكذا نلاحظ في هذه السورة وما سبق من السور أن قصة موسى عليه السلام مع فرعون تأتي في مقدمة قصص الأنبياء في السور التي ذكر فيها قصص الأنبياء كما هو الحال في هذه السورة وقبلها في سورة الأعراف ويونس وبدأت هذه السورة تتناول القصة من الآية التاسعة من قوله تعالى: [وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] [١٠] قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا

١ - طه: ٥٧- ٧٠ .

٢ - الفتياي تيسير المحجوب - الحوار القراءاني في قصة موسى عليه السلام . مركز الكتاب الأكاديمي . الأردن ط ١ عام

٢٠٠٤ م .

يَتَّقُونَ [١١] قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ [١٢] وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلْ
إِلَى هَارُونَ [١٣] وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ [١٤] قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ
مُسْتَمِعُونَ [١٥] فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٦] أَنْ أَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
[١٧] قَالَ أَلَمْ نُزِبْكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ [١٨] وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ
وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ [١٩] قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ [٢٠] فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ
فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ [٢١] وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمَّتْهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ
[٢٢] قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ [٢٣] قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ
مُوقِنِينَ [٢٤] قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ [٢٥] قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ [٢٦] قَالَ
إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ [٢٧] قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ
تَعْقِلُونَ [٢٨] قَالَ لَعِنَ اتَّخَذَتْ إِمْلَأًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ [٢٩] قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ
بِئْسَى مَبِينٍ [٣٠] قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [٣١] فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ
[٣٢] وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ [٣٣] قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ [٣٤]
يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ [٣٥] قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ [٣٦] يَا تَوَكُّبِكُمْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ [٣٧] فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [٣٨] وَقِيلَ
لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ [٣٩] لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ [٤٠] فَلَمَّا جَاءَ
السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ [٤١] قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ
الْمُقَرَّبِينَ [٤٢] قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ [٤٣] فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ
فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ [٥٥] فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ [٤٥] فَأَلْقَى
السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ [٤٦] قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [٤٧] رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ [٤٨] قَالَ آمَنْتُمْ
لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبِيَّكُمْ أَجْمَعِينَ [٤٩] قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ [٥٠] إِنَّا
نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ [٥١] وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي

إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ [٥٢] فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ [٥٣] إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ
 [٥٤] وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ [٥٥] وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ [٥٦] فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
 [٥٧] وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ [٥٨] كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ [٥٩] فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ
 [٦٠] فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ [٦١] قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي
 سَيَهْدِينِ [٦٢] فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ
 الْعَظِيمِ [٦٣] وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ [٦٤] وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ [٦٥] ثُمَّ أَغْرَقْنَا
 الْآخِرِينَ [٦٦] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ [٦٧] وَإِنَّ رَبَّكَ لهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
 . [٦٨]

نلاحظ في سياقات هذه السورة انها ركزت أكثر على حوار موسى مع فرعون وذكرت
 أجزاء من الحوار اختصت به هذه السورة لم ترد في غيرها حيث استرسل فرعون في الحوار
 مع موسى والسؤال عن رب موسى وماهيته فلما أعيته الحجة ودمغه موسى عليه السلام
 انتقل إلى التهديد والوعيد وأعلن التعبئة العامة. وهذا من شأنه أن يشكل صورة في الأذهان،
 أن موسى وقومه يشكلون خطرا على فرعون وملكه، فيكيف يكون إلهها من يخشى فئة صغيرة
 يعبدون إله آخر؟! لذلك كان لا بد من تهوين الأمر وذلك بتقليل شأن قوم موسى
 وحقهمهم (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) لكننا نطاردهم لأنهم أغاظونا، وعلى أي حال، فنحن
 حذرون مستعدون ممسكون بزمام الأمور. ونلاحظ كذلك في هذه السورة اتهام فرعون
 لموسى بأنه مجنون وفي هذا عدة دلالات وإشارات فمن إشارات أنه أعداء الدعوة دائما
 يواجهون الدعوة إلى الله بردود متشابهة تدل على تشابه قلوبهم وطريقة تفكيرهم وفي ذلك
 يقول سبحانه وتعالى في سورة الذاريات: [كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا

قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ [٥٢] أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ [٥٣]، وكأنهم اتفقوا وأوصى بعضهم بعضاً أن يوجهوا نفس التهم للأنبياء فتارة يتهمونهم بالسحر وتارة يتهمونهم بالجنون قال ابن جرير الطبري (قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أي إن رسولكم الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب على عقله لأنه يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه ففي ذلك الزمان لا يعرف الناس ربا سوى فرعون فكلام موسى عندهم غير مألوف ولا معروف)^١.

وتظهر في هذه السورة صفة المكر والخديعة عند فرعون في طريقة تصرّفه ومخاطبته لأتباعه بعد أن علم بخروج بني إسرائيل خفية، يقول تعالى: [فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ [٥٣] إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ [٥٤] وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ [٥٥] وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ [٥٦]^٢، فإنه لما علم بخروج بني إسرائيل (اشتد غضبه عليهم لما يريد الله به من الدمار، فأرسل سريعا في بلاده حاشرين، أي من يحشر الجند ويجمعه كالنقباء والحجاب، ونادى فيهم: إن هؤلاء يعني بني إسرائيل (لشردمة قليلون) أي لطائفة قليلة، (وإنهم لنا لغائظون) أي كل وقت يصل إلينا ما يغيظنا، (وإننا لجمع حاذرون) أي نحن كل وقت نحذر من غائلتهم، وإني أريد أن أستأصل شأفتهم وأبيد خضراءهم)^٤.

فانظر كيف رتب خطابه، حيث أشار أولا إلى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم، يريد أنهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم، ثم إلى تحقق ما يدعو إليه من فرط عداوتهم، لأنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضييق صدورنا، فيجب التيقظ في شأنهم لأننا قوم عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى

١ - الذاريات: ٥٢ - ٥٣.

٢ - الطبري ج ٨ ص ١٩ مرجع سابق .

٣ - الشعراء: ٥٣-٥٦ .

٤ - تفسير ابن كثير ٣/٣٣٧، ٣٣٦ مرجع سابق .

إخماده. وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه^١، وبهذه العقلية الماكرة أخفى فرعون ما أراد إخفاءه.

ولكن ماذا كانت نتيجة مكره؟ كانت وبالا عليه، فالله جلّ شأنه كان له بالمرصاد، يعلم تدبيره ويطلع على مكره، يقول تعالى: [وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ]٢. أي (وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم)٣. فهل يتعظ المعاصرون بما حدث للغابرين؟ فليسوا هم بأشدّ ممن سبقهم مكرًا ولا تدبيرا ولا كيدا، فأخذهم الله بذنوبهم وكانت عاقبة أمرهم خسرا، يقول تعالى: ” [وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ [٤٢]]“، لقد جرّب الأولون فضرّوا بمكرهم أنفسهم لأنهم أسخطوا ربهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم ونجى رسله، فهو أحكم تدبيرا وأعظم كيدا^٤.

كما نلاحظ كذلك في هذه السورة كيف أن موسى عليه السلام حين وجد أن فرعون يريد أن يمنعه من دعوته بسجنه وعزله عن قومه دعاه إلى قبول المعجزة فقال أولو جنتك بشيء مبين قال الرازي ((أي هل تستمر في عزمك أن تسجنني إن جنتك بشيء عظيم يدل على أنني مرسل من رب العالمين الذي بعثني إليك))^٥، ولكن فرعون أصر على رأيه وعلى تهديده له بالسجن فقال: [قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِيَّاهُ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ [٢٩]]، (أي لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا

١ - البيضاوي، ٥ أجزاء، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. ٢٣٩/٤.

وتفسير أبي السعود ٦/٢٤٤ مرجع سابق وتفسير النسفي مرجع سابق / ١٨٧، ١٨٦.

٢ - فاطر: ٤٣.

٣ - ابن كثير ٣/٥٦٣. مرجع سابق

٤ - الرعد: ٤٢.

٥ - الطبري ١٣/١٧٥. مرجع سابق

٦ - الرازي فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير ج ٤ ص ١١٣، دار الكتب العلمية بيروت ط ١ عام ١٩٩٠

ولذلك لم يقل (لأسجنك)١ وعلى قدر الإستبداد الذي كان يتصف به فرعون كانت سجونه مرعبة مخيفة، (فسجنه أشد من القتل لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه شيئا)٢، (وكان إذا سجن أحدا لم يخرج حتى يموت)٣، ليكون لمن تُسَوَّل له نفسه رفع رأسه برأي عبدة! وقبل أن يستكمل القرآن الكريم عرض هذا المشهد يعجّل لنا باستعراض العاقبة: [فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)] قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير: "يعنى فرعون وقومه أخرجهم الله من أرض مصر وفيها الجنات والعيون والكنوز وهى جمع جنة وعين وكنز والمراد بالكنوز الخزائن وقيل الدفائن وقيل الأنهار وفيه نظر لأن العيون المراد بها عند جمهور المفسرين عيون الماء فيدخل تحتها الأنهار، واختلف في المقام الكريم فقيل المنازل الحسان وقيل المنابر وقيل مجالس الرؤساء والأمراء وقيل مرابط الخيل والأول أظهر ومن ذلك قول الشاعر:

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية يتتابها القول والفعل "،

لقد خرجوا يتبعون خطأ موسى وقومه ويقتنون أثرهم. فكان خروجهم هذا هو الأخير. وكان إخراجهم من كل ما هم فيه من جنات وعيون وكنوز؛ فلم يعودوا بعدها لهذا النعيم!

١ - أبي السعود ٦/٢٤٠ وانظر: تفسير النسفي ٣/١٨٣. مرجعين سابقين.

٢ - البغوي: أبو محمد، الحسين بن مسعود الفراء، (ت ٥١٦هـ)، معالم التنزيل، ٤ أجزاء، تحقيق: خالد العك - مروان سوار، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. ٣/٣٥٨ وانظر: الجلالين السيوطي: أبو الفضل، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن الكمال (٨٤٩-٩١١هـ)، وجلال الدين محمد بن أحمد، تفسير الجلالين، جزء واحد، ط ١، دار الحديث، القاهرة ١/٤٨٢ وتفسير النسفي ٣/١٨٣ مرجع سابق.

٣ - الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، (١١٧٣-١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٥ أجزاء، دار الفكر، بيروت. ٤/٩٨.

٤ - فتح القدير ج / ٤ ص ٢٠١. المرجع السابق نفسه.

لذلك يذكر هذا المصير عقب خروجهم يقتفون أثر المؤمنين. تعجيلا بالجزاء على الظلم والبطر والبغي.

وقف موسى أمام البحر. وبدا جيش الفرعون يقترب، وظهرت أعلامه. وامتلاً قوم موسى بالرعب. كان الموقف حرجا وخطيرا. إن البحر أمامهم والعدو ورائهم وليس معهم سفن أو أدوات لعبور البحر، كما ليست أمامهم فرصة واحدة للقتال. إنهم مجموعة من النساء والأطفال والرجال غير المسلحين. سيدبحهم فرعون عن آخرهم.

صرخت بعض الأصوات من قوم موسى: سيدركنا فرعون، قال موسى: (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ).

لم يفكر موسى كيف ستكون النجاة، لكن قلبه كان ممتلئا بالثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، فالله هو الذي يوجهه ويرعاه. وفي اللحظة الأخيرة، يجيء الوحي من الله (فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ) فضربه، فوقعت المعجزة (فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ) وتحقق المستحيل في منطق الناس، لكن الله إن أراد شيئا قال له كن فيكون.

ووصل فرعون إلى البحر. شاهد هذه المعجزة. شاهد في البحر طريقا يابسا يشقه نصفين. أحس فرعون بالإمان فأمر جيشه بالتقدم. وحين انتهى موسى من عبور البحر. وأوحى الله إلى موسى أن يترك البحر على حاله (وَاتْرِكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ). وكان الله تعالى قد شاء إغراق فرعون. فما أن صار فرعون وجنوده في منتصف البحر، حتى أصدر الله أمره، فانطبقت الأمواج على فرعون وجيشه. وغرق فرعون وجيشه. غرق العناد ونجا الإيمان بالله.

خامساً: سياقات القصة في سورة القصص

هذه السورة تناولت قصة موسى منذ الولادة وهي السورة الوحيدة التي بدأت بسرد أحداث القصة منذ الولادة ثم تمر بمراحل في حياة موسى عليه السلام فتحدثنا السورة عن

موسى الرضيع ثم موسى الشاب ثم موسى الرجل القوي الأمين ثم موسى النبي الكريم كل ذلك في مقاطع متناسقة من هذه السورة الكريمة و موضوعنا في هذه الدراسة مختص بمرحلة واحدة من هذه المراحل وهي مرحلة موسى النبي الكريم وهذه المرحلة تأتي في هذه السورة في الآيات التالية: [فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ [٢٩] فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [٣٠] وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ [٣١] اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [٣٢] قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ [٣٣] وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ [٣٤] قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ [٣٥] فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ [٣٦] وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [٣٧] وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ [٣٨] وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ [٣٩] فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرُّوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ [٤٠] وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ [٤١] وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَّا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ [٤٢].

يلاحظ أن الآيات في هذه السورة فصلت أكثر في إظهار صفة الكبر في فرعون يظهر ذلك واضحاً في ردود فرعون وأسئلته التي واجه بها موسى عليه السلام قال السعدي رحمه الله تعالى: "[وَقَالَ فِرْعَوْنُ] متجرئاً على ربه، ومموها على قومه السفهاء، أخفاء العقول: [يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي] أي: أنا وحدي، إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثمَّ إله غيري، لعلمته، فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون!، حيث لم يقل " ما لكم من إله غيري " بل تورع وقال: [مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي] وهذا، لأنه عندهم، العالم الفاضل، الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه. فلما قال هذه المقالة، التي قد تحتل أن ثمَّ إله غيره، أراد أن يحقق النفي، الذي جعل فيه ذلك الاحتمال، فقال لـ " همامان " [فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ] ليجعل له لبنا من فخار، [فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا] أي: بناء [لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ] ولكن سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسى. فانظر هذه الجرأة العظيمة على الله، التي ما بلغها آدمي، كذب موسى، وادَّعى أنه إله، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب، ليتوصل إلى إله موسى، وكل هذا ترويج، ولكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشئونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم، فسد دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم، فنسألك اللهم الثبات على الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. قال تعالى: [وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ] استكبروا على عباد الله، وساموهم سوء العذاب، واستكبروا على رسل الله، وما جاءوهم به من الآيات، فكذبوها، وزعموا أن ما هم عليه أعلى منها وأفضل"، انتهى كلام السعدي.

وكان عاقبة هذا التكبر هو الذل والصغار والهوان قال تعالى: [فَأَخَذْنَاَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ] [٤٠]، وبهذه النهاية المخزية لفرعون تنتهي أحداث هذه القصة في سورة القصص، ويتهي كذلك هذا المبحث الذي ذكرت فيه السور التي تناولت قصة موسى مع فرعون بنوع من التفصيل.

وبمجمال الأحداث التي وردت في هذه السور يتكون لدينا قصة متكاملة تروي جميع الأحداث والمشاهد بمختلف الألفاظ والسياقات التي تشكل في مجموعها صورة متكاملة لأحداث قصة موسى عليه السلام في جميع مراحلها وتصف الأحداث والأساليب الدعوية التي صاحبت كل مرحلة فنخرج بمفهوم متكامل حول أحداث هذه القصة وتتحقق الغاية من تكرار القصص القرآني وهي العضة والعبرة بهذا التكامل والتناسق والتناغم والإبداع وتبطل هنا دعوى المشككين في مسألة تكرار القصص في القرآن الكريم.

المبحث الثاني

الآيات التي ذكرت فيها قصة موسى مع فرعون بطريقة مختصرة

في هذا المبحث بإذن الله تعالى سأذكر سياقات القرآن الكريم التي وردت في قصة موسى مع فرعون بطريقة مختصرة مع تركيزها على جانب معين في القصة فمن هذه السياقات سورة الإسراء.

قال تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا [١٠١] قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا [١٠٢] فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا [١٠٣]]، في هذه الآيات يذكر سبحانه وتعالى قصة موسى مع فرعون بشكل موجز مع التركيز على جانب مهم وهو أن موسى يحاور من منطلق أن فرعون يعلم حقيقة أن الله هو الذي أيد موسى بالمعجزات التسع ولكن العناد والكبر هو الذي منعه من إتباع الحق وهكذا يكتفي سياق الآيات في سورة الإسراء على هذا الأمر وقد ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره بعض الأقوال حول هذه الآيات التسع ماهي فقال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات: " يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بينات تبين لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوته، وقد اختلف أهل التأويل فيهن وما هن؟ فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن بن عباس قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال التسع الآيات البيئات يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع

والدم آيات مفصلات، حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات إلقاء العصا مرتين عند فرعون ونزع يده والعقدة التي كانت بلسانه وخمس آيات في الأعراف الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وقال آخرون نحوا من هذا القول غير أنهم جعلوا آيتين منهن إحداهما الطمسة والأخرى الحجر، ذكر من قال ذلك حدثنا بن حميد قال ثنا سلمة عن بن إسحاق عن برياة بن سفيان عن محمد بن كعب القرظي قال سألتني عمر بن عبد العزيز عن قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقلت له هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر وعصاه والطمسة والحجر فقال وما الطمسة فقلت دعا موسى وأمن هارون فقال قد أجيبت دعوتكما وقال عمر كيف يكون الفقه إلا هكذا، فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيبت بمصر فإذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر، وقال آخرون نحوا من ذلك إلا أنهم جعلوا اثنتين منهن إحداهما السنين والأخرى النقص من الثمرات، ذكر من قال ذلك حدثنا بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة ومطر الوراق في قوله تسع آيات قالوا الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص من الثمرات، حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبي في قوله تسع آيات بينات قال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات وعصاه ويده)) انتهى كلامه رحمه الله تعالى والذي يهمنا ليس ماهي هذه التسع الايات تحديدا وإنما ما يهمنا هو أن هناك معجزات تسع أيد بها الله تعالى نبيه موسى عليه السلام لتدل على صدق نبوته في زمن كان السحر والسحرة قد انتشروا فيه واستطاع

١- الطبري: ج ١٥: ص ١٧١ مرجع سابق .

الناس أن يميزوا ما بين السحر والمعجزات فكان ذلك من أوضح الأدلة على صدق النبوة فقد أوتي موسى معجزات بينات ومتعددة تتناسب مع حجم العدو فرعون الطاغية.

وأما في سورة المؤمنون فتأتي قصة موسى مع فرعون في خمس آيات فقط.

[ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ [٤٥] إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ [٤٦] فَقَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ [٤٧] فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ [٤٨]، في هذه الآيات نلاحظ أن الآيات هنا ركزت على سبب عدم إيمان قوم فرعون وهو الكبر والعناد [فَقَالُوا] كبرا وتيها وتحذيرا لضعفاء العقول وتمويهها [أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا] كما قاله من قبلهم سواء بسواء تشابهت قلوبهم في الكفر فتشابهت أقوالهم وأفعالهم وجحدوا منة الله عليهما بالرسالة [وَقَوْمُهُمَا] أي بنو إسرائيل [لَنَا عَابِدُونَ] أي معبدون بالأعمال والأشغال الشاقة كما قال تعالى [وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ].

ولقد تضمنت هذه الآيات الإشارة إلى أهم أسباب الكفر والعناد وهو الكبر عند فرعون وملئه ويظهر أثر الكبر في أمرين:

الأول: الإمتناع عن قبول الحق بعد الآيات والسلطان المبين كراهية منهم للحق، لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم ومصالحهم، يقول تعالى: [...بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ]؛ فهو ينسف قيمهم الباطلة التي عليها يقتاتون وبها يعيشون، لأن الحق لا يدور مع الهوى، وسيأتي بيان هذه النقطة لاحقا.

١ - المؤمنون: ٤٥-٤٩.

٢ - انظر: تفسير البيضاوي ٤/١٦٢. مرجع سابق.

٣ - المؤمنون: ٧٠.

الثاني: احتقار الناس، وهذا جليّ من قولهم: [وقومها لنا عابدون] (مسخرون خاضعون. وهي أدعى- في إعتبار فرعون وملئه- إلى الاستهانة بموسى وهارون! فأما آيات الله التي معها، وسلطانه الذي بأيديهما، فكل هذا لا إيقاع له في تلك القلوب المطموسة)، والسبب في تلك الانتكاسة نابع من إعجاب المستكبر بنفسه، فيرى نفسه أكبر من غيره، وتلك هي العلة الكامنة من وراء قول الملائم من قريش: [وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ]، ويقصدون بذلك سادة القبائل في مكة والطائف، ممّن لهم الجاه والسلطان.

إنّ الكبر داء خطير أفرز شخصية تسلطية رافضة للحق والحقيقة، لذلك توجه موسى عليه السلام إلى ربه ملتجئاً ومستعيذاً به جلّ شأنه (من كل متكبر عليه، تكبر عن توحيده والإقرار بألوهيته وطاعته)^٢. قال تعالى: [وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ]. أي من كل (متعظم عن الإيمان بالله غير مؤمن بالبعث والنشور، ويدخل فرعون في هذا العموم دخولاً أولياً) °. وقال: من كل متكبر (لشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة، وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ، وأراد بالتكبر الاستكبار عن الازدعان للحق، وهو أقبح استكبار وأدلّ على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه)^٦.

١ - في ظلال القرآن ٦ / ٣١ . مرجع سابق .

٢ - الزخرف: ٣١ .

٣ - تفسير الطبري ٢٤ / ٥٧ . مرجع سابق .

٤ - غافر: ٢٧ .

٥ - فتح القدير ٤ / ٤٨٨ مرجع سابق .

٦ - تفسير النسفي ٤ / ٧٢، وانظر: روح المعاني ٢٤ / ٦٣ . مراجع سابقة

ودلّ هذا على ثقل العبء الذي ألقى على كاهل موسى عليه السلام في مواجهته لشخصية متكبرة متكبرة، حتى دعت طبيعة المواجهة إلى هذه الإستعادة الواضحة [لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ]، إذ لو كان يؤمن بيوم يحاسب الناس فيه، ويحشرون حفاة عراة لما سولت له نفسه فعل ما لا ينبغي له فعله.

وكذلك كان امتناع فرعون عن قبول الحق رغم قيام الحجة والبرهان دليل على استكباره. فكما أنّ القرآن الكريم نص على استكبار فرعون فإنه -أيضا- أظهر هذه الحقيقة بأسلوب آخر، وهو امتناع فرعون عن قبول الحق بعد قيام الحجة والدليل، أي بعد إدراكه وعلمه بصدق موسى عليه السلام، وذلك بالآيات العديدة التي أوتي موسى عليه السلام والتي لا تدع مجالاً للشك والريبة بل هي آيات تثمر العلم واليقين. ولكن وبعد كلّ هذه الآيات امتنع فرعون عن قبول الحق، وكفى بهذا دليل على استكباره.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآيات ((يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى فرعون وملائته بالآيات والحجج الدامغات والبراهين القاطعات وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعها والانقياد لأمرهما لكونهما بشرين كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر تشابهت قلوبهم فأهلك الله فرعون وملائه وأغرقهم في يوم واحد أجمعين وأنزل على موسى الكتاب وهو التوراة فيها أحكامه وأوامره ونواهيته وذلك بعد أن قصم الله فرعون والقبط وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين كما قال تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]¹.

١ - غافر: ٢٧ .

٢ - تفسير ابن كثير ج ٣: ص ٢٤٦. مرجع سابق .

ويزداد تأكيد هذا الأمر في سورة النمل حيث وصف سبحانه وتعالى حال فرعون و ملأه من الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام بأنهم جحدوا بها بالرغم من استيقانهم بها في قرارة أنفسهم ظلما وعلوا قال تعالى: [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ]¹.

وفي سورة غافر يبين سبحانه وتعالى جانب آخر من جوانب مكر فرعون وطريقة جديدة في محاولة كسب الجماهير وقلب الحقائق مع إظهار الحرص عليهم والخوف على دينهم قال تعالى: [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ]² وبين كذلك سبحانه وتعالى في هذه السورة نوع من مكر فرعون بقومه وكيده لهم فقال تعالى: [وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ]³، أي (وما احتيال فرعون الذي يمتال للإطلاع إلى إله موسى إلا في خسار وذهاب مالٍ وغبن)⁴. فقد كان من مكره وكيده قلب الحقائق وذلك باتهام موسى بالفساد فالإفساد في الأرض -من وجهة نظرهم- (هو الدعوة إلى ربوبية الله وحده، حيث يترتب عليها تلقائيا بطلان شرعية حكم فرعون ونظامه كله. إذ إن هذا النظام قائم على أساس حاكمية فرعون لأمره -أو بتعبير مرادف على أساس ربوبية فرعون لقومه- وإذن فهو -بزعمهم- الإفساد في الأرض، بقلب نظام الحكم، وتغيير الأوضاع القائمة على ربوبية البشر للبشر، وإنشاء وضع آخر مخالف تماما لهذه الأوضاع، الربوبية فيه لله لا للبشر. ومن ثمّ قرنوا الإفساد في الأرض بترك موسى وقومه لفرعون ولآلهته التي يعبدها هو وقومه)⁵؛ ذلك لأنّ

١ - النمل: ١٤.

٢ - غافر: ٢٦.

٣ - غافر: ٣٧.

٤ - تفسير الطبري ٦٦/٢٤ . مرجع سابق .

٥ - في ظلال القرآن ٣/ ٣١٠-٣١١ . مرجع سابق .

تلك الآلهة التي يدعوننا هي الطريقة التي يستخدمها المملأ في تضليل قومهم، ومنها يستمدون قدسيتهم وهيبتهم ومراكزهم.. وإلا فهم يدركون أكثر من غيرهم أنّها لا تضر ولا تنفع، ولكنها الوسيلة الموصلة إلى أهدافهم وغاياتهم، بينما هم يعبدون في الحقيقة مصالحهم ومكتسباتهم، وتلك هي الجاهلية في أسوأ مظاهرها حيث أصبح الرب شعارا عندهم، ووسيلة للتغطية على معبودهم المرفوض أمام الجماهير.

إنّ اللجوء إلى قلب الحقائق سياسة مُتَّبَعَةٌ عند كل الطواغيت ومعاونيهم وبطاناتهم، مع إدراكهم لفساد مناهجهم وتصوّراتهم إلا أنّهم يزوّرون الحقائق اتباعاً للهوى، يقول تعالى: [أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا]¹. فلا عجب من إضمارهم الكذب وإصرارهم عليه؛ ذلك بأنهم اتخذوا الهوى إلهاً، فانفلتوا من كل القيم والأخلاق.

لقد أقر المملأ فرعون بالقول والعمل واتبعوا أمره، ولهم أسبابهم كما هي أسباب المؤيدين للطواغيت، ثم تقدموا في شرهم وإثمهم فشاركوه وساندوه، وبقيت حلقة أخرى غفلت قلوبهم عنها، تلك اللحظة التي يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً، يقول تعالى: [ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ]².

(وهكذا يمؤّه فرعون الطاغية ويحاور ويداور، كي لا يواجه الحق جهره، ولا يعترف بدعوة الوحداية التي تهز عرشه، وتهدد الأساطير التي قام عليها ملكه. وبعيد عن الإحتمال أن يكون هذا فهم فرعون وإدراكه. وبعيد أن يكون جادا في البحث عن إله موسى على هذا النحو الساذج، وقد بلغ فراعنة مصر من الثقافة حداً يبعد معه هذا التصور. إنها هو الاستهتار والسخرية من جهة. والتظاهر بالإنصاف والتثبت منه جهة أخرى. وربما كانت هذه خطة

١ - الفرقان: ٤٣ .

٢ - العنكبوت: ٢٥ .

للتراجع أمام مطارق المنطق المؤمن في حديث الرجل المؤمن^١، وقال في آية أخرى في نفس السورة ليؤكد نفس المضمون [يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ]^٢، فزعم أنه حريص على هدايتهم إلى طريق الصواب وأنه يجب لهم الخير فزين لهم الباطل من باب حب المصلحة لهم وهو في ذلك كاذب وإنما هو حب الذات والخوف على الجاه والملك.

وحول هذا الأسلوب جاء السياق في هذه السورة المباركة وهو أسلوب من أساليب فرعون في خداع الناس وتضليلهم وكثيرا ما يلجأ زعماء الضلال إلى مثل هذا الأسلوب في التلبس على الناس، وأمر آخر كذلك ركزت عليه هذه السورة وهو صفة الإسراف عند فرعون الإسراف بمفهومه العام وهو مجاوزة الحد في كل شيء قال تعالى: [لَا جَرَمَ لَكُمْ أَنْ تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ مَسْرُوفٌ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ]^٣. ويقول سبحانه: [كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ]^٤. ويقول تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ]^٥.

لقد كان فرعون - بنص القرآن الكريم - من المسرفين (في الكبر والعتو واسترقاق أسباط الأنبياء)^٦، وتجاوز الحق إلى الباطل وذلك كفره بالله وتركه الإيثار به وجحوده وحدانية الله وادعائه لنفسه الألوهية وسفكه الدماء بغير حق^٧، (بالقتل والصلب وتنويع العقوبات)^٨، فهو من (المستكثرين من معاصي الله)^٩.

١ - في ظلال القرآن ٧/ ١٨٣-١٨٤ . مرجع سابق .

٢ - غافر: ٢٩ .

٣ - غافر: ٤٣ .

٤ - غافر: ٣٤ .

٥ - غافر: ٢٨ .

٦ - تفسير البيضاوي ٣/ ٢١١ مع بعض التصرف. وانظر: القرطبي ٨/ ٣٧٠ وتفسير أبي السعود ٤/ ١٧١ . مراجع سابقة.

٧ - تفسير الطبري ١١/ ١٥١ . مرجع سابق .

فالإسراف الذي هو من صفات فرعون معناه الاستكثار من المعاصي، حيث شهد واقع فرعون على هذا المعنى، فتعددت معاصيه وتنوعت جرائمه حتى شملت كل حركة له في هذه الدنيا، فليس هناك معصية إلا وفرعون نصيب منها، . فالمسرفون (يفسدون في الأرض بالظلم والكفر، ولا يصلحون بالإيمان والعدل. والمعنى أنّ فسادهم مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين)^٢.

وأما في سورة الزخرف فقد جاء السياق لبيان أسلوبا جديدا من أساليب فرعون في محاولته لكسب الجماهير وهو أسلوب المكر عن طريق المقارنة بين مكانته ومكانة موسى عليه السلام مركزا على جانب الجاه والملك حيث أخبر عنه سبحانه وتعالى أنه قال: [وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ [٥١] أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ [٥٢] فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ [٥٣] فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [٥٤] فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ [٥٥] .

من المكر والاحتيايل صرف نظر الجماهير كي لا ترى الحقيقة التي يخشاها فرعون ومن شاكلة سعيها منهم لتزوير الحقيقة وقلب الموازين، ولهذا نادى فرعون في قومه كما قال تعالى: [وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ [٥١] أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ [٥٢] .إنه ينادي قوما

١ - فتح القدير ٢/٤٦٦ . مرجع سابق .

٢ - فتح القدير ٤/٤٩٤ . مرجع سابق .

٣ - تفسير النسفي ٣/١٩٤ . مرجع سابق .

٤ - الزخرف: ٥١-٥٥ .

٥ - الزخرف: ٥١-٥٢ .

تعودوا التعلق بالحياة الدنيا وزخارفها، لا يتطلعون إلا إلى الأرض. إنه يلفت أنظارهم إلى ما تعلق به قلوبهم وامتلات به عقولهم، ويقدم لهم المغريات.

وفي تلك اللحظة التي بهر بها أبصارهم- فلم يعودوا يروا غير المال والثروة، ولسان حالهم يقول فيها يا ليتنا نحظى بالقرب من السلطان- ينفث فرعون في روعهم مراده: [فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ] ^١، (فأوهم قومه أن رسل الله ينبغي أن يكونوا كرسل الملوك في الشاهد، ولم يعلم أن رسل الله إنما أئدوا بالجنود السماوية، وكل عاقل يعلم أن حفظ الله موسى مع تفردته ووحدته من فرعون مع كثرة أتباعه، وإمداد موسى بالعصا واليد البيضاء كان أبلغ من أن يكون له أسورة أو ملائكة يكونوا معه أعوانا، أو دليلا على صدقه، وليس يلزم هذا لأن الإعجاز كاف، وقد كان من الجائر أن يكذب مع مجيء الملائكة كما كذب مع ظهور الآيات، وذكر فرعون الملائكة حكاية عن لفظ موسى لأنه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم) ^٢. ولكنها الخديعة التي انطلت عليهم من متمرس في المكر والاحتيال.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسيره: ((ما زال السياق الكريم في قصة موسى مع فرعون قال تعالى: [وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ] ^٣ لأجل الافتخار والتطاول إرهاباً للناس قال يا قوم أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار أي أنهار النيل تجري من تحتي أي من تحت قصوره، أفلا تبصرون فإذا أبصرتم فقولوا أنا خير من هذا الذي وهو مهين أي حقير يتولى الخدمة بنفسه، ولا يكاد يبين أي يفصح بلسانه لعله به وهي اللثغة أم هو؟. فلولا ألقى عليه أساوره من ذهب أي هلا ألقى عليه من أرسله أساوره من ذهب أو بعث معه الملائكة مقترنين يشهدون له

١ - الزخرف: ٥٣ .

٢ - تفسير القرطبي ١٦/١٠٠-١٠١ . مرجع سابق .

٣ - الزخرف: ٥١ .

بالرسالة. قال تعالى: [فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ] أي استفزهم بقوله هذا وحركهم فاطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين، والفاستق جبان يستجيب بسرعة للباطل ان كان ممن يخاف عادة كالحاكم الظالم، وقوله تعالى: [فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ] أي أغضبونا بنكثهم وكفرهم وكبريائهم وظلمهم أغرقناهم أجمعين أي فلم نبق منهم أحداً والمراد فرعون وجنوده. وقوله تعالى: [فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ] أي جعلنا فرعون، ومن أغرقنا معه من ملأته وجيوشيه سلفاً أي سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم، ومثلاً يتمثل به من بعدهم فلا يقدمون على ما أقدموا عليه من الكفر والظلم والعلو والفساد، وأولى من يعتبر بهذا قريش التي نزل لينبئها ويحرك كامن نفسها لتتبه من غفلتها وتوحد فتنجو وتكمل وتسعد)) انتهى كلامه رحمه الله، فبين سبحانه وتعالى حالهم الذي كانوا عليه ومآلهم الذي صاروا إليه ليكون ذلك عبرة للمعتبرين حين يتأملون في تقلب الأحوال من عز إلى ذل ومن غنى إلى فقر ومن كبر وعلو إلى هوان وعذاب.

وفي سورة النازعات أيضاً تذكر هذه القصة بشكل آخر يتناسب مع حجم السورة وقصر فواصلها قال تعالى: [هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى [١٥] إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى [١٦] أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى [١٧] فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى [١٨] وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى [١٩] فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى [٢٠] فَكَذَّبَ وَعَصَى [٢١] ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى [٢٢] فَحَشَرَ فَنَادَى [٢٣] فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى [٢٤] فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى [٢٥] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى [٢٦]]، يقول تعالى لنبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هل أتاك حديث موسى نبأه

١ - الزخرف: ٥٤.

٢ - الزخرف: ٥٥.

٣ - الزخرف: ٥٦.

٤ - الجزائري: أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة

(١٤١٢-١٩٩٢ م) ج/٣ ص ٣٢٠.

٥ - النازعات: ١٥-٢٦.

وخبره وما جرى له مع قومه ويذكر له القصة إجمالاً وفي ذلك تسليية له عليه أفضل الصلاة والتسليم ودعوة له ليقبدي بموسى الكليم صبره ودعوته أمام طغيان فرعون وشدته.

وفي نهاية القصة يؤكد سبحانه وتعالى على الغاية العظمى من هذه القصة وهو أخذ العظة والعبرة [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى] وكأنها خلاصة وملخص سريع لقصة موسى مع فرعون وهي مناسبة جداً لتكون أيضاً خاتمة لهذا الباب الذي تناولت فيه سياقات قصة موسى عليه السلام مع فرعون في القرآن الكريم والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الثاني

العقيدة في دعوة موسى عليه السلام

المبحث الأول: التوحيد في قصة موسى مع فرعون

المبحث الثاني: التحذير من الشرك في قصة موسى مع فرعون

المبحث الثالث: الولاء والبراء في قصة موسى مع فرعون

المبحث الرابع: ملامح تأكيد الإيمان بالبعث واليوم الآخر

المبحث الأول

التوحيد في قصة موسى مع فرعون

المتأمل في قصة موسى مع فرعون بل في قصص جميع الأنبياء في القرآن الكريم يجد أن أساس دعوة جميع الأنبياء والرسول هو الدعوة إلى توحيد الإلهية لله سبحانه وتعالى فأساس الدعوة التي جاء بها موسى عليه السلام هي الدعوة إلى التوحيد وهو إفراد الله تعالى بالعبادة ولذلك فقد رأيت أن أفرد هذا المبحث في فصل مستقل لتبين أهمية ومكانة الدعوة إلى التوحيد في دعوة موسى عليه السلام وهي كذلك عند جميع الرسل فالآيات الدالة على أن الله سبحانه أمر الرسل أن يوجهوا العباد إليه، وأن يعرفوهم بخالقهم ورازقهم وإلههم سبحانه - كثيرة جدا، موجودة في كتاب الله ومن تأمل القرآن وجد ذلك واضحا بينا، فالرسل أفصح الناس وأعرف الناس بالله عليهم الصلاة والسلام، وأكملهم نشاطا في الدعوة إليه، فليس هناك من هو أصبر منهم على الدعوة ولا أعلم منهم بالله، ولا أحب لهداية الأمم منهم عليهم الصلاة والسلام. ولهذا بلغوا رسالات الله أكمل تبليغ وأتمه، وبينوا للناس صفات الخالق المعبود وأسماءه سبحانه وأفعاله، وفصلوها كي يعلم العباد ربهم، وحتى يعرفوه بأسمائه وصفاته وعظيم حقه على عباده، وحتى ينيبوا إليه عن بصيرة وعلم. ومن هذا ما ذكره الله عن موسى عليه الصلاة والسلام، حيث قال: [وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] [١٠] قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ] [١١] قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ] [١٢] وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ] [١٣] وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ] [١٤] قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ] [١٥] فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا

إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٦]، أمره أن يبين له : أنه رسول رب العالمين لعله يتذكر فينيب إلى الحق، لكنه لم يتذكر، بل أعرض عن ذلك، وقال : [قَالَ أَلَمْ نُزَبِّكَ فِينَا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ [١٨] وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ [١٩] قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ [٢٠] فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ [٢١] وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمَّتْهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ [٢٢] قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ [٢٣] قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ [٢٤] قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ [٢٥] قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ [٢٦] قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ [٢٧] قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [٢٨]٢. فانظروا كيف يبين له موسى عليه الصلاة والسلام صفات الرب عز وجل، وأنه رب العالمين، ورب السماوات، ورب الأرض وما بينهما ورب الخلائق كلها، ورب المشرق والمغرب، حتى يعلم عدو الله هذه الصفات لعله يرجع إلى الحق والصواب ولكن سبق في علم الله أنه يستمر على طغيانه وضلاله، ويموت على كفره وعناده، .

ويبين الله سبحانه وتعالى لهارون وموسى أنه معهما يسمع ويرى، وأنه حافظهما وناصرهما ومؤيدهما ؛ فلهذا أقدمنا على دعوة هذا الجبار العنيد المتكبر المتغطرس الذي قال: [أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى]، فصانها وحماها من شره وكيده.

ولا شك أن هذا كله من حفظ الله وعنايته برسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام : رجل متكبر طاغية، ملك لعين يدعي أنه رب العالمين، ومع هذا أقدمنا على دعوته وبيان حق الله عليه، وأن الواجب عليه : أن ينيب إلى الله، ولكنه أبى واستكبر، ثم دعا إلى ما دعا إليه من جمع السحرة والسحر إلى غير ذلك، حتى أبطل الله كيده، وأظهر عجزه، ونصر موسى

١ - الشعراء: ١٠-١٦ .

٢ - الشعراء: ١٨-٢٨ .

وهارون - عليها الصلاة والسلام - عليه وعلى سحرته، ثم صارت العاقبة - لما استمر في الطغيان - أن أغرقه الله وجميع جنده في البحر، وخلص موسى وهارون ومن معها من بني إسرائيل. هذه من آيات الله البالغة، في انتقام الله من أعدائه، ونصره لأوليائه فالدعوة إلى التوحيد هي أساس دعوة الرسل وبالتالي فالواجب على كل داعية يدعو إلى الله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان أن يجعل هذا الأمر نصب عينيه وهو يدعو إلى الله تعالى فيركز دائماً في دعوته للناس على إحياء معاني التوحيد في نفوسهم وتعميق مفاهيمه وتكرارها والتركيز عليها متأسياً في ذلك بطريقة موسى عليه السلام في دعوته لفرعون بل بطريقة سائر الأنبياء وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال سيد قطب رحمه الله تعالى في الظلال مبيناً أن العقيدة التي دعا إليها الرسل هي عقيدة واحدة وهي التي دعا إليها موسى عليه السلام قال رحمه الله ((لقد جاء موسى - عليه السلام - بهذه الحقيقة التي جاء بها كل رسول قبله. حقيقة ربوبية الله الواحد للعالمين جميعاً.. ألوهية واحدة وعبودية شاملة.. لا كما يقول الخابطون في الظلام من «علماء الأديان» ومن يتبعهم في زعمهم عن «تطور العقيدة» إطلاقاً، وبدون استثناء لما جاء به الرسل من ربهم أجمعين!.. إن العقيدة التي جاء بها الرسل جميعاً عقيدة واحدة ثابتة؛ تقرر ألوهية واحدة للعالم جميعها. ولا تتطور من الآلهة المتعددة، إلى الثنية، إلى الوحداية في نهاية المطاف.. فأما جاهليات البشر - حين ينحرفون عن العقيدة الربانية - فلا حد لتخبطها بين الطوغم والأرواح والآلهة المتعددة والعبادات الشمسية والثنية والتوحيد المشوب برواسب الوثنية.. وسائر أنواع العقائد الجاهلية.. ولا يجوز الخلط بين العقائد السماوية التي جاءت كلها بالتوحيد الصحيح، الذي يقرر إلهاً واحداً للعالمين؛ وتلك التخبطات المنحرفة عن دين الله الصحيح.

ولقد واجه موسى - عليه السلام - فرعون وملاه هذه الحقيقة الواحدة، التي واجه بها كل نبي - قبله أو بعده - عقائد الجاهلية الفاسدة.. واجهه بها وهو يعلم أنها تعني الثورة على فرعون وملئه ودولته ونظام حكمه.. إن ربوبية الله للعالمين تعني - أول ما تعني - إبطال

شرعية كل حكم يزاول السلطان على الناس بغير شريعة الله وأمره؛ وتنحية كل طاغوت عن تعبيد الناس له - من دون الله - بإخضاعهم لشرعه هو وأمره.. واجهه بهذه الحقيقة الهائلة بوصفه رسولاً من رب العالمين.. ملزماً ومأخوذاً بقول الحق على ربه الذي أرسله.)) انتهى كلامه رحمه الله وكلام سيد رحمه الله يؤكد كذلك ويقرر أهمية ومكانة الدعوة إلى التوحيد في دعوة موسى عليه السلام لفرعون الطاغية الذي ادعى الربوبية من دون الله تعالى ومن هنا يجب أن يركز الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان على دعوة الناس إلى التوحيد فقد وقع كثير من الناس في بعض الأمور التي تقدح في التوحيد وفي بعض صور الشرك الظاهرة. إذن فملمح الدعوة إلى التوحيد ملمح هام وأساسي في دعوة موسى عليه السلام ويقابله ملمح آخر وهو ملمح التحذير من الشرك وهو ما سنتناوله في الفصل التالي مستعينين في ذلك بالله سبحانه وتعالى

١ - في ظلال القرآن الكريم سيد قطب ج ٣ / ص ١٢١. مرجع سابق.

المبحث الثاني

التحذير من الشرك في قصة موسى مع فرعون

ذكرنا في الفصل السابق ملامح التوحيد في دعوة موسى لفرعون وبيننا كيف أن موسى عليه السلام جعل قضية التوحيد هي المنطلق الأساسي في دعوته ومما لا شك فيه ولا مرأ أن الدعوة إلى التوحيد تستلزم النهي عن ضده وهو الشرك ولذلك قال سبحانه وتعالى مبيناً أن دعوة جميع الرسل جاءت على هذا الأساس قال سبحانه في سورة النحل: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ]، فأخبر تعالى بأنه ما أخلى أمة من الأمم من إرسال رسول إليها لهدايتها وبيان سبيل نجاتها وتحذيرها من طرق غوايتها وهلاكها.

كما أخبر عن وحدة الدعوة بين الرسل وهي لا إله إلا الله المفسرة بعبادة الله تعالى وحده، واجتناب الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مما دعا الشيطان إلى عبادته بالترزين والتحسين عن طريق الوسواس من جهة ومن طريق أوليائه من الناس من جهة أخرى فهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعوا ربه بدعاء عظيم: [وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ]، أي اجعلني وبني في حيز وجانب عن عبادة الأصنام وباعد بيننا وبينها وهذا مما يخيف العبد فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة وحده وابتلي بكلمات فأتهمن وقد

١ - النحل: ٣٦.

٢ - إبراهيم: ٣٥.

كسّر الأصنام بيده يخاف أن يقع في الشرك فكيف يأمن الوقوع فيه من هو دونه بمراتب وهو الأولى بالخوف منه.

ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم وكذلك كانت دعوة موسى عليه السلام كغيره من الأنبياء يدعو إلى التوحيد يحذر من الشرك، إن ملامح التحذير من الشرك تظهر واضحة جلية في مختلف مراحل دعوة موسى عليه السلام وخصوصاً مناظرته مع فرعون التي جاءت تفاصيلها في سورة الشعراء في قوله تعالى: [قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ [٢٣] قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ [٢٤] قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ [٢٥] قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ [٢٦] قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ [٢٧] قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [٢٨].

في هذه الآيات العظيمة بين لنا سبحانه وتعالى كيف أن موسى عليه السلام في مناظرته لفرعون بين لفرعون حقيقة التوحيد وخطورة الشرك ولذلك فهم فرعون فحوى الخطاب فبادر إلى التهديد لموسى عليه السلام لقد فهم أن ما يدعو إليه موسى يدعو إلى إفراد الله تعالى بالعبادة والكفر بما عداه قال ابن عاشور في تفسيره ((قَالَ لئن اتَّخَذتِ إلهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ)) لما لم يجد فرعون لحججه نجاحاً ورأى شدة شكيمته موسى في الحق عدل عن الحجاج إلى التخويف ليقطع دعوة موسى من أصلها. وهذا شأن من قهرته الحجة، وفيه كبرياء أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد.

واللام في قوله: [لئن اتَّخَذتِ إلهًا] موطنه للقسم. والمعنى أن فرعون أكد وعيده بما يساوي اليمين المجملة التي تؤذن بها اللام الموطئة في اللغة العربية كأن يكون فرعون قال: عليّ يمين، أو بالأيمان، أو أقسم. وفعل [اتَّخَذتِ] للاستمرار، أي أصرت على أن لك إلهاً أرسلك وأن تبقى جاحداً للإله فرعون، وكان فرعون معدوداً إلهاً للأمم لأنه يمثل الآلهة

وهو القائم بإبلاغ مرادها في الأمة، فهو الوساطة بينها وبين الأمة.)) ولا شك أن دعوة موسى عليه السلام مليئة بالواقف التي فيها تحذير من الشرك مثل قصة أصحاب العجل وغيرها ولكننا أحببنا أن نكتفي في هذا البحث بما حدث في دعوته لفرعون حيث وهو مدار البحث والله تعالى الموفق للصواب.



المبحث الثالث

الولاء والبراء في قصة موسى مع فرعون

إن للولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عرى الإيمان. ومعناه توثيق عرى المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام. روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله»^١. والولاء والبراء ركن من أركان العقيدة، وشرط من شروط الإيمان، تغافل عنه كثير من الناس وأهمله البعض فاختلطت الأمور وكثر المفرطون. ومعنى الولاء: هو حُب الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين ونصرتهم. والبراء: هو بُغض من خالف الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين، من الكافرين والمشركين والمنافقين والمبتدعين والفساق.

فكل مؤمن موحد ملتزم للأوامر والنواهي الشرعية، تجب محبته وموالاته ونصرته. وكل من كان خلاف ذلك وجب التقرب إلى الله تعالى ببغضه ومعاداته وجهاده بالقلب واللسان بحسب القدرة والإمكان، قال تعالى: [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]^٢، والولاء والبراء أوثق عرى الإيمان وهو من أعمال

١ - رواه الطبراني المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ١١ / ٢١٥، والبغوي في شرح السنة، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، دار النشر: المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش ٣ / ٤٢٩، بسند حسن.

٢ - التوبة: ٧١.

عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ]، وهذا هو حقيقة الولاء والبراء الذي ظهر جليا في دعوة موسى لفرعون
فينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يتبرأوا من الأعداء ويوالوا المؤمنين أسوة بالنبي الكليم
والداعية الحكيم موسى عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم والله سبحانه وتعالى هو ولي
الصالحين.

المبحث الرابع

ملامح تأكيد الإيمان بالبعث واليوم الآخر

إن الإيمان بالبعث مما دلّ عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فنؤمن يقينا بأن الله يبعث من في القبور، وتعاد الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين. ولذلك يعد ملامح الإيمان بالبعث واليوم الآخر من أهم الملامح التي أكد عليها الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم لأن الناس لو آمنوا بالبعث والجزاء لاتبعوا الأنبياء ولذلك كان توضيح مسألة حقيقة البعث والنشور من أساسيات ما دعا إليه موسى عليه السلام في مواجهته مع فرعون كما قال تعالى في سورة طه في تبيين الحوار الذي دار بين موسى وفرعون في أول الأمر وبداية التكليف قال تعالى: [قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى [٥١] قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى [٥٢] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى [٥٣] كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى [٥٤] مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى [٥٥] وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى [٥٦]، فبين سبحانه وتعالى أن موسى عليه السلام وضح لفرعون قضية البعث قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: [مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى] أي: من الأرض مبدؤكم، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، [وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ] أي: وإليها تصيرون إذا متم وبليتم، ومنها نخرجكم تارة أخرى. [يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا].^٢

١ - طه: ٥١ - ٥٦ .

٢ - الإسراء: ٥٢ .

وهذه الآية كقوله تعالى: [قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ].

وفي الحديث الذي في السنن^٢ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر جنازة، فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر ثم قال [مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ] ثم ﴿أَخَذْ﴾ أخرى وقال: [وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ]. ثم أخذ أخرى وقال: [وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى].

وقوله [وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى]، يعني: فرعون، أنه قامت عليه الحجة والآيات والدلالات وعين ذلك وأبصره، فكذب بها وأبأها كفرًا وعنادًا وبغيا، كما قال تعالى: [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] [النمل: ١٤].^٣

وهذا الذي بينه موسى لفرعون من حقيقة البعث كان من الأساسيات التي تعلمها السحرة من موسى حين ءامنوا به واتبعوه ويظهر ذلك في مخاطبتهم لفرعون حين هددهم بالقتل والصلب كما قال تعالى: [قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا] [٧٢] إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى]، فقولهم إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إشارة إلى إيمانهم بالبعث والحياة الآخرة وأنهم قد فهموا ذلك من دعوة موسى عليه السلام فكلن إيمانهم بالبعث والجزاء أكبر عامل من عوامل ثباتهم وصمودهم أمام تهديد فرعون مما يدل على أهمية توضيح هذه القضية وجعلها من أساسيات الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في كل

١ - الأعراف: ٢٥.

٢ - البيهقي: أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى، (٣٨٤-٤٥٨هـ)، سنن البيهقي الكبرى، ١٠ أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م رقم الحديث ٦٥١.

٣ - تفسير ابن كثير ج / ٥ ص ٢٩٩. مرجع سابق

٤ - طه: ٧٢-٧٣.

زمان ومكان وبهذا المبحث نكون بعون الله وتوفيقه قد انتهينا من الكلام حول ملامح التوحيد في دعوة موسى عليه السلام والله الحمد والمنة.

الفصل الرابع

أساليب الدعوة في قصة موسى مع فرعون

المبحث الأول: أسلوب الدعوة بالقدوة في دعوة موسى لفرعون.

المبحث الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب.

المبحث الثالث: أسلوب الحوار في دعوة موسى عليه السلام.

المبحث الرابع: أسلوب الموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن.

تمهيد:

ربما لا أكون مبالغا لو قلت أن هذا الفصل هو لب هذه الرسالة وذلك لأن من الأهداف الأساسية لكتابة هذا البحث كما ذكرت في المقدمة إعطاء إشارات وملامح دعوية لا بد منها في الدعوة إلى الله تعالى وهذه الملامح التي يستفيد منها الدعاة هي مقصودة لذاتها في هذا البحث ولذلك فقد تعمدت أن تتوسط بحثي المتواضع لتكون فيه كموضع القلب من الجسد.

وتحتاج عملية الدعوة إلى الله استخدام الأساليب الجيدة الرقيقة التي تصغي إليها الأذان وتستريح إليها الأذهان، وهي التي تساعد الداعي على معرفة أيسر المنافذ وأسرع الطرق المثلى الموصلة إلى نفوس المدعوين وقلوبهم، كما تعينه على معرفة الأماكن الإستراتيجية الحساسة لجذبهم واستمالتهم إليه، لقبول الحق الذي يدعوهم إليه، والانقياد التام لله تعالى الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة. فالداعية الماهر المتمكن هو الذي يختار ويهيأ لنفسه الأساليب الحكيمة الواضحة، والطريقة السهلة التي يتناولها ويستخدمها قبل الشروع والخوض في غمار الدعوة، حسب ما دعت إليه الحاجة، إذ علم يقينا أن الناس بطبائعهم وعاداتهم التي جبلوا عليها متفاوتون ومتباينون في كل شيء، وأتهم ليسوا في درجة واحدة ولا في مرحلة متساوية حتى يخاطبهم بأسلوب يكون على مستوى واحد، فمنهم من يفتح صدره لقبول الحق ويرق له قلبه ويعترف به مباشرة بمجرد وجود الأدلة والحجج ساطعة أمامه بلا تردد، ومنهم من لا يقبل الحق في أسرع وقت، ولا يقتنع بالحجج التي عرضت عليه، مهما كانت واضحة أمامه كالشمس في ضحاها، إلا بعد تريث وإلحاح شديد، ومحاولة دؤوبة، وبذل جهد جبار نحو إقناعه، ومنهم من لا يقبل أساسا لشدة عناده وإلحاده، ولقساوة قلبه، وهو كالحجارة أو أشد قسوة، ولذا يتوجب على من يخاطر نفسه لهذه المهمة الخيرية السامية أن يختار لنفسه الأساليب الملائمة والمناسبة التي تمكنه وتؤهله لحمل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، من غير تحبط ولا انزلاق، بالإضافة إلى أن اختيار الأساليب الجيدة

كان في الدّرجة الأولى من العوامل المؤثّرة في النّفوس، وتحقّق النّجاح والفوز للدّاعي في سبيل دعوته إلى الله تعالى.

والمعنيّ بالأساليب في اللّغة: هي جمع أسلوب، وهو الطّريق، يقال سلكت أسلوب فلان في كذا يعني طريقته ومذهبه، وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته، ويقال: أخذ فلان في أساليب في القول أي: أفانين منه.

وأسلوب الدّعوة في الاصطلاح: " طريقة الدّاعي في دعوته أو كيفة تطبيق مناهج الدّعوة " فأساليب الدّعوة هي: " الطّرق التي يسلكها الدّاعي في دعوته أو كيفة تطبيق مناهج الدّعوة " وقد قمت في هذا الفصل باستخراج بعض الأساليب من قصة موسى عليه السلام.

المبحث الأول

أسلوب الدعوة بالقدوة في دعوة موسى لفرعون

إن من الأساليب الدعوية الناجحة والعميقة في التأثير، الدعوة إلى الله بالقدوة، ومعنى ذلك أن يتمثل الداعية ما يدعو إليه وأن لا يخالف قوله فعلة فإن هذه مصيبة عظيمة أن يدعو الداعية الناس لأمر ثم لا يأتيه وينهاهم عن أمر فيأتيه وهذه صفة من صفات اليهود وقد ذم الله سبحانه وتعالى هذا الصنف من الناس في كتابه الكريم كما قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة: [أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]، ومن هنا يتبين لنا أن الدعوة إلى الله تعالى بالقدوة تجلت واضحة في دعوة الأنبياء لأقوامهم ولذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتأسى بنبيه كما قال سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا] قال القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة هذا عتاب للمتخلفين عن القتال أي كان لكم قدوة في النبي صلى الله عليه وسلم حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق والأسوة القدوة وقرأ عاصم أسوة بضم الهمزة الباقون بالكسر وهما لغتان والجمع فيهما واحد عند الفراء والعلة عنده في الضم على لغة من كسر في الواحدة الفرق بين ذوات الواو وذوات الياء فيقولون كسوة وكسا وحية ولحي قال الجوهري والأسوة والإسوة بالضم والكسر لغتان والجمع أسى وإسي وروي عقبه بن حسان الهجري عن مالك بن أنس عن نافع عن بن عمر لقد كان لكم في رسول الله أسوة

١ - البقرة: ٤٤ .

٢ - الأحزاب: ٢١ .

حسنة قال في جوع النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الخطيب أبو بكر أحمد وقال تفرد به عقبة بن حسان عن مالك ولم أكتبه إلا بهذا الإسناد الثانية قوله تعالى أسوة الأسوة القدوة والأسوة مايتأسى به أي يتعزى به فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله فلقد شج وجهه وكسرت رباعيته^١ بل إن الله سبحانه وتعالى حين ذكر لرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) أسماء بعض الأنبياء في سورة الأنعام أمره أن يقتدي بهم كما قال: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ]^٢.

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "أي أمش - أيها الرسول الكريم خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار واتبع ملتهم وقد امثل صلى الله عليه وسلم فاهتدى بهدي الرسل قبله وجمع كل كمال فيهم فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع العالمين وكان سيد المرسلين وإمام المتقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"^٣، ومن هؤلاء الأنبياء القدوات موسى عليه السلام فحين دعا قومه إلى التوحيد فهو أول الموحدون وحين يدعوهم إلى الصبر فهو أول الصابرين وحين يدعو إلى العبادة فهو أول العابدين لهذا دُرّب موسى عليه السلام على المشاق منذ الصغر، في (خط طويل من الرعاية والتوجيه، ومن التلقي والتجريب، قبل النداء وقبل التكليف... تجربة الرعاية والحب والتدليل. وتجربة الاندفاع تحت ضغط الغيظ الحبيس، وتجربة الندم والتخرج والاستغفار. وتجربة الخوف والمطاردة والفرع. وتجربة الغربة والوحدة والجوع. وتجربة الخدمة ورعي الغنم بعد حياة القصور. وما يتخلل هذه التجارب الضخمة من شتى التجارب الصغيرة؛ ذلك أنّ الرسالة تكليف ضخمة شاق متعدد الجوانب والتبعات.. ورسالة موسى بالذات قد تكون أضخم تكليف تلقاه بشر - عدا رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو مرسل إلى فرعون الطاغية المتجبر، أعتى

١ - القرطبي - ج / ١٤ ص ١٥٥. مرجع سابق

٢ - الأنعام: ٩٠ .

٣ - تفسير السعدي ص ٣٤٣. مرجع سابق .

ملوك الأرض في زمانه، وأقدمهم عرشا، وأثبتهم ملكا، وأعرقهم حضارة، وأشدهم تعبيدا للخلق واستعلاء في الأرض.. وهو مرسل لاستنقاذ قوم قد شربوا من كؤوس الذل حتى استمروا مذاقه، فمردوا عليه واستكانوا دهرا طويلا، والذل يفسد الفطرة البشرية حتى تأسن وتتعضن.. وهو مرسل إلى قوم لهم عقيدة قديمة، انحرفوا عنها، وفسدت صورتها في قلوبهم. فلا هي قلوب خامة تتقبل العقيدة الجيدة ببراءة وسلامة، ولا هي باقية على عقيدتها القديمة، ومعالجة مثل هذه القلوب شاقة عسيرة.. وهو في اختصار مرسل لإعادة بناء أمة، بل لإنشاءها من الأساس. فلأول مرة يصبح بنو إسرائيل شعبا مستقلا، له حياة خاصة، تحكمها رسالة. وإنشاء الأمم عمل شاق عسير. ولعله لهذا المعنى كانت عناية القرآن الكريم بهذه القصة، فهي نموذج كامل لبناء أمة على أساس دعوة^١.

وسأذكر هنا بعض مميزات شخصية موسى والتي تُعدُّ نموذجا للشخصية القدوة القادرة على مواجهة فرعون.

أولا: عزة النفس

(العزُّ خلاف الذل.. والعزّة الرفعة والإمتناع)^٢، فالنفس العزيزة هي النفس الممتنعة على الباطل والرافضة للخضوع والخنوع والذلّ وهي التي لا غنى عنها في مواجهة الطاغوت، لا تلك النفوس التي تتعايش مع الواقع الذي يُنشئه الطاغوت، ومن ثمّ ينحصر دورها في البحث الدائم عن حياة رخيصة في الهامش المتاح لها من قبل الطاغوت، بل وربما تتجنب فعل أي شيء قد يؤدي للصدام معه، وربما قامت بدور المُثبِّط للثائرين عليه. والشخصية العزيزة هي (التي لا تقبل الذل والإهانة، وهي التي تقابل فرعون وتقف في وجهه، لا تلك النفوس التي ألفت رؤية الطغيان يبطش وهم لا يتحركون، حتى وهموا أنّ

١ - في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٢-٣٤٣ مع بعض التصرف. مرجع سابق.

٢ - لسان العرب، مادة: عزز ٥/ ٣٧٤. مرجع سابق.

هذا هو الأصل، وأنّ هذا هو الفضل، وأنّ هذا هو الأدب، وأنّ هذا هو الخلق! وأنّ هذا هو الصلاح! فإذا رأوا مظلوما يدفع الظلم عن نفسه، فيحطم السياج الذي أقامه الطغيان لحماية الأوضاع التي يقوم عليها... إذا رأوا مظلوما يهب لتحطيم ذلك السياج المصطنع الباطل ولولوا ودهشوا، وسمّوا هذا المظلوم الذي يدفع الظلم سفاكا، أو جبارا، وصبوا عليه لومهم ونقمتهم. ولم ينل الظالم الطاغى من نقمتهم ولومهم إلاّ القليل! ولم يجدوا للمظلوم عذرا-حتى على فرض تهوره-من ضيقه بالظلم الثقيل!^١.

الصفة الثانية: المروءة .

(المروءة كمال الرجوليّة)^٢، وهي (قوة للنفس مبدأ لصدور الأفعال الجميلة منها المستتعبة للمدح شرعا وعقلا وعرفا، وقيل: أداة نفسانية يحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف ثمّ محاسن الأخلاق وجميل العادات)^٣؛ فالمروءة تحمل صاحبها على إغاثة المنكوبين ورفع الظلم عن المستضعفين.

لما رأى موسى عليه السلام امرأتين تذودان حرّك في نفسه مشاعر التّجدة والتّخوة والرجولة، يقول تعالى: [وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ].^٤ أي: (تكفكفان غنمهما أن ترد غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا، فلمّا رأهما موسى عليه السلام رق لهما ورحمهما)^٥، وهو (مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة، السليمة الفطرة، كنفس

١ - في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٢-٣٣٣ . مرجع سابق .

٢ - لسان العرب، مادة: مرأ / ١ / ١٥٥ . مرجع سابق .

٣ - المناوي ، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، توقيف على مهات التعاريف ، دار النشر: دار الفكر المعاصر ، دار

الفكر - بيروت ، دمشق - ١٤١٠ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ص / ٦٥٠-٦٥١ .

٤ - القصص: ٢٣ .

٥ - تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٤ . مرجع سابق .

موسى عليه السلام، حين وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء، ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء. والأولى عند ذوى المروءة والفطرة السليمة، أن تسقي المرأتان وتصدرا بأغنامها أولاً، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما^١.

إنّ الإنشغال باللذة العاجلة والجاه الكاذب والمصالح الفانية عن القيام بالواجب ونصرة الحق نقضٌ للمروءة وقتلٌ لها، حيث لم يعد للفرد همٌ سوى نفسه - إلا من رحم ربي -، فهو منشغل بتوفير المتاع لها والراحة، وإذا طلب الإنسان من نفسه القيام بالواجب وجدها عاجزة ضعيفة ثقيلة. والعجيب أنّ الكلّ يقول يجب! ولكن على من يجب؟ إنّه واقع مرٌّ أن ترى الأعراض تُستباح والبيوت تُهدم والعدو يُعربد.. ثم لا تجد من يُنجدك. فغالبية الأمة تخلت عن واجبها في نصرة المظلوم.

الصفة الثالثة: القوة والأمانة

أراد الله أن يكون المُكلّف في مواجهة فرعون وهو موسى عليه السلام قويا قادرا على تنفيذ ما أمر به، أمينا مؤد للتكليف؛ فالقوة والأمانة صفتان متلازمتان لحمل الدعوة والتكليف، فالأمين الضعيف عاجز يُقَعِّدُه العجز عن المواجهة والتحدي، فالتكليف الشرعية شاقة تحتاج إلى أخذها بقوة وخصوصا عند من يكون في مركز القيادة، وهو معنى قوله تعالى: [يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا]، أي بجد وحرص واجتهاد، وذلك بالعمل به والتزام أوامره والكف. فأمرُ الدين جدّ لا هزل فيه، يقول تعالى: [إِنَّهُ لَقَوْلٌ

١ - في ظلال القرآن ٦ / ٣٣٥ . مرجع سابق .

٢ - مريم: ١٢ .

فَصُلُّ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلُ [١]، أي (فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل، وما هو بالهزل، بل كله جد محض لا هوادة فيه)٢.

وأما القوة بلا أمانة فطامة كبرى ومصيبة عظيمة، ورفع القرآن من شأن الأمانة فقال سبحانه: [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا]٣، والمعنى (إنها لعظيمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها)٤. فالأمانة عظيمة وهي في كل شيء مطلوبة، وهي أعم من العهد، وكل عهد فهو أمانة، بل هي تعم جميع وظائف الدين٥.

من هنا أثارت قوة موسى وأمانته انتباه تلك المرأة الصالحة حتى قالت لأبيها: "يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين"٦، (تقول إن خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانتته فيما تأمنه عليه)٧، فالقوة والأمانة (تعليل لما وقع منها من الإرشاد لأبيها إلى استئجار موسى، أي إنه حقيق باستئجارك له لكونه جامعا بين خصلتي القوة والامانة)٨، فإذا كان قطع من الغنم

١ - الطارق: ١٣-١٤ .

٢ - تفسير أبي السعود ١٤٢/٩ مع بعض التصرف. وانظر: تفسير البيضاوي ٤٧٧/٥ وفتح القدير ٤٢١/٥ . مراجع سابقة .

٣ - الأحزاب: ٧٢ .

٤ - تفسير البيضاوي ٣٨٨/٤ . مرجع سابق .

٥ - انظر: تفسير القرطبي ١٠٧/١٢ . مرجع سابق .

٦ - القصص: ٢٦ .

٧ - تفسير الطبري ٦٣/٢٠ . مرجع سابق .

٨ - فتح القدير ١٦٩/٤ . مرجع سابق .

الغنم يحتاج إلى مَنْ يتصف بالقوة والأمانة، فكيف بمن يقود أمة ويحمل لواء المواجهة للطاغوت!

الصفة الرابعة : الصلابة

حين مواجهة الطاغوت لا بدّ من شخصية تمتاز بالصلابة ، فالشخصية المدللة المنعمة لا تستطيع المواجهة، فالمواجهة في كثير من الأحيان تنتهي بالسجن والزنازين الضيقة المظلمة، والتضييق في الرزق بل والحرب على لقمة العيش، والجراح المؤلمة والمشائق المتدلية.. ولا ننسى فراق الأحبة والولد! ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "وإياكم والتنعم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبوس الحرير"^١.
لقد كان موسى عليه السلام (حديدا خشنا متصلبا في كل شيء)^٢، فقد صلّبه التجارب، فمن الترف إلى شظف العيش، ومن الأمن إلى قلب المخافة، وتلك هي التناقضات التي تكشف عن معادن الرجال، يقول تعالى: [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ]^٣، أي: (نختبركم بالمصائب تارة وبالنعمة أخرى؛ فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط)^٤. إنّه البلاء الذي يُنتج الصلابة المطلوبة أمام الطواغيت حين تبدأ المواجهة.

هذه بعضى الصفات التي تميز بها موسى مما جعله قدوة يقتدي به الأنبياء والدعاة من بعده وتأثر بدعوته وصفاته كل من استجاب لدعوته ومن أول المتأثرين سحرة فرعون حين

١ - صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل وإباحته للنساء وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع ٣/ ١٦٤٢ رقم ٢٠٦٩. مرجع سابق .

٢ - تفسير البيضاوي ٤/ ٦٧. وانظر: تفسير أبي السعود ٦/ ٣٨. مراجع سابقة .

٣ - الأنبياء: ٣٥ .

٤ - تفسير ابن كثير ٣/ ١٧٩. وانظر: تفسير القرطبي ١١/ ٢٨٧. مراجع سابقة .

رأى موسى عليه السلام لوحده يواجه فرعون بكل شجاعة وينظر السحرة ويقبل التحدي فما يكون من السحرة أمام كل ذلك إلا أن يعلنوا إسلامهم وتوكلهم على الله مقتدين في ذلك بموسى وهارون كما حكا الله ذلك عنهم في سورة طه: [فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى [٧٠] قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبَتْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى [٧١] قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [٧٢] إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى [٧٣].

قد يقول قائل كيف تأثر هؤلاء السحرة وانقلبوا خلال لحظات من أعوان للشرك إلى أنصار للخير؟

وللإجابة على هذا التساؤل نبين أن هناك عدة عوامل أثرت في السحرة لكننا لا نختلف أبداً أن من أهم هذه العوامل هو ما رأوه من ثبات موسى ووقوفه أمام طغيان فرعون فموسى لم يشرح لهم معنى التوكل ولم يبين لهم تفاصيل الإيمان لكنهم فهموها من تعامله وتصرفاته فأعلنوا الطاعة والولاء وهذا هو تأثير القدوات الصالحة في كل زمان ومكان إن مواقف موسى أمام طغيان فرعون صنعت في قلوب السحرة ما لم تصنعه اليوم الجامعات المتخصصة في قلوب الطلاب فليت الدعوة إلى الله يراجعون تصرفاتهم ويحسنون من أنفسهم حتى يؤثروا في من يدعوهم مقتدين في ذلك بأئمة الدعوة من أنبياء ربهم.



المبحث الثاني

أسلوب الترغيب والترهيب

من الأساليب النبوية في الدعوة إلى الله تعالى أسلوب الترغيب والترهيب وقد وصف الله رسله وهم أئمة الدعوة والدعاة بأنهم مبشرين ومنذرين والبشارة هي الترغيب والإنذار هو الترهيب قال تعالى: [رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا]^١ ولذلك فقد استخدم موسى الترغيب والترهيب في دعوته فمن الترغيب مثلاً قول موسى لقومه: [قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ]^٢ فرغبهم بالجزاء الدنيوي قبل الجزاء الآخروي وهو وراثته الأرض وأن تكون لهم العاقبة وكان من الترغيب الذي استخدمه موسى عليه السلام في دعوته لين الخطاب وهذا هو معنى قوله تعالى لموسى وهارون: [فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى]^٣، فالقول اللين هو (القول الذي لا خشونة فيه.. فإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولاً لينا فمن دونه أخرى بأن يقتدى بذلك في خطابه وأمره بالمعروف في كلامه)، وقد قال تعالى: [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا]^٤، (فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة. ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة

١ - النساء: ١٦٥ .

٢ - الأعراف: ١٢٨ .

٣ - طه: ٤٤ .

٤ - تفسير القرطبي ١١/٢٠٠ . مرجع سابق .

٥ - البقرة: ٨٣ .

الطغيان)^١، لذلك علم الله سبحانه موسى عليه السلام كيف يخاطب الطاغية بأحب أسلوب وأشده جاذبية للقلوب، لعله ينتهي، ويتقي غضب الله وأخذه، وفي (هذه الآية عبرة عظيمة وهي أن فرعون في غاية العتو والإستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين)^٢. يقول تعالى: [اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّىٰ] ^٣، هل لك الى أن تتطهر من الكفر والطغيان ومن دنس الذنوب؟ [وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ] ^٤.. هل لك أن أعرفك طريق ربك. فتخافه وتتقيه، إذ الخشية إنما تكون بعد المعرفة. فما يطغى الإنسان ويعصي إلا وهو بعيد عن ربه^٥.

ومن هنا -أيضا- نفهم قوله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ] ^٦. أي (فبرحمة من الله لنت لهم أي سهلت لهم أخلاقك وكثرة احتمالك ولم تسرع إليهم بالغضب، ولو كنت فظا يعني جافيا سيء الخلق قليل الاحتمال، غليظ القلب لانفضوا من حولك أي نفروا وتفرقوا عنك)^٧، فالقليل من العطف على أخطاء الناس وهفواتهم، وعدم تتبع عوراتهم وزلاتهم تقرب المسافة بيننا وبينهم، وليس هذا تملق أو تزييف للحقيقة بل إيصالها بوجه حسن وأسلوب يرفع قابلية الناس لاستقبال دعوتنا إلى الله سبحانه.

١ - في ظلال القرآن ٤٧٤/٥ . مرجع سابق .

٢ - تفسير ابن كثير ١٥٤/٣ . مرجع سابق .

٣ - النَّازِعَات: ١٧-١٨ .

٤ - النَّازِعَات: ١٩ .

٥ - انظر: تفسير الطبري ٣٩/٣٠ وتفسير البيضاوي ٤٤٧/٥ وتفسير القرطبي ٢٠١/١٩ . مراجع سابقة .

٦ - آل عمران: ١٥٩ .

٧ - تفسير البغوي ٣٦٥/١ مع بعض التصرف. وانظر: تفسير النسفي ١٨٨/١ وتفسير الجلالين ٨٩/١ . مراجع سابقة .

وهكذا جعل لين الجانب من مظاهر رحمة الله على النبي صلى الله عليه وسلم، ويشبه ذلك قوله تعالى: [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ]. (مما يدل على وجوب استعمال اللين والرفق وترك الفظاظة والغلظة في الدعاء إلى الله تعالى)^٢، كما في قوله تعالى: [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]^٣.

ولما كان لين القول ليس على حساب الحقيقة زاد موسى عليه السلام في بيانه، فقال: [إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى]، أي أن العذاب على من كذب الرسل وتولى وتولى عن الإيمان؛ ذلك (أن القوة والحسم في إلقاء كلمة الحق في العقيدة، لا يعني الخشونة والفظاظة؛ فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة - وليس هنالك تعارض ولا اختلاف بين التوجيهات القرآنية المتعددة - والحكمة والموعظة الحسنة لا تجافيان الحسم والفصل في بيان كلمة الحق. فالوسيلة والطريقة إلى التبليغ شيء غير مادة التبليغ وموضوعه. والمطلوب هو عدم المداهنة في بيان كلمة الحق كاملة في العقيدة، وعدم اللقاء في منتصف الطريق في الحقيقة ذاتها. فالحقيقة الاعتقادية ليس فيها أنصاف حلول)^٤، وهكذا نفهم لين القول لا كما يفهمه بعض المهزومين أمام ضغط الجاهلية والعلمانية والطاغوت.

١ - التوبة: ١٢٨ .

٢ - الجصاص: أبو بكر، أحمد بن علي الرازي، (٣٠٥-٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، ٥ أجزاء، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ. ٣٢٩ / ٢ .

٣ - النحل: ١٢٥ .

٤ - طه: ٤٨ .

٥ - في ظلال القرآن ٢ / ٨٠٥ . مرجع سابق .

وأما الترهيب فقد استخدمه موسى كذلك موسى عليه السلام كذلك في دعوته ومن أمثلة ذلك قول موسى: [إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ]، فخوف موسى فرعون وقومه وبين لهم أن التكذيب والتولي عن الحق عاقبته العذاب وهذا أسلوب ظاهر من أساليب الترهيب بالعقاب الأخروي للمخالفين هدي الأنبياء.

المبحث الثالث

أسلوب الحوار في دعوة موسى عليه السلام

في الآونة الأخيرة ظهر في العلوم التربوية الحديثة والطرق التربوية ما يسمى بالحوار وكثرت فيه الكتابات والمؤلفات التي تعتبر هذا الأسلوب من أنجح أساليب التربية الحديثة بل عقدت دورات تدريبية للمعلمين والمربين تحت مسمى الحوار في التربية وغيرها من المسميات التي تخدم نفس الفكرة والعجيب في ذلك أنهم لم يجعلوا نصب أعينهم دعوة موسى عليه السلام وغفلوا عنها ولم يتأملوا في قصة موسى عليه السلام الذي استخدم هذا الأسلوب في مواجهة أعتى الطغاة ونجح في التأثير على جنوده والمقربين له من السحرة بهذا الأسلوب بل إن فرعون نفسه انقطع في الحوار معه حين ألزمه بالحجة القاطعة وهو يحاوره ففقد موسى السيطرة على أعصابه وبدأ يهدد ويتوعد كما قال تعالى: [قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ] [٢٣] قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ [٢٤] قَالَ لَنْ حَوَلَهُ إِلَّا تَسْتَمِعُونَ [٢٥] قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ [٢٦] قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ [٢٧] قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [٢٨] قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِهْلَاءَ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ [٢٩]، فتأمل كيف استخدم موسى أسلوب الحوار ونجح لدرجة أن فرعون لما وجد أن الحوار لا يسير في صالحه حاول أن يقطع الحوار بصرخات التهديد بالسجن لكي يغلق باب الحوار الذي كانت فيه الغلبة للحق فما أخرج دعاة اليوم إلى الاستفادة من قصة موسى عليه السلام في طرق الحوار وأساليب التأثير بدلا من الانبهار بما يطرحة الغربيون من نظريات في الحوار وأساليبه والتي لا ترقى إلى مستوى تجارب الأنبياء

المؤيدة بوحى رب السماء والله المستعان ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقد استخدم موسى عليه السلام الحوار في مراحل دعوته فقد كان لدعوته مرحلتان: الأولى مرحلة دعوته فرعون وقومه إلى الله تعالى ومحاولة تخليص بني إسرائيل من قبضته ومن الذل والمهانة التي عاشوها تحت سلطانه وجبروته وفي هذه المرحلة كان موسى عليه السلام فيما يعرض من حجج على فرعون يذكر فرعون ببعض نعم الله سبحانه وتعالى عليه وعلى الخلق جميعا ليلفت نظره إلى عظمة الخالق سبحانه وكمال قدرته وأن ما يتمتع به فرعون إنما هو من الله سبحانه وبذلك يري فرعون نفسه على حقيقتها من الضعف والعجز والحاجة الدائمة والافتقار إلى مولي النعم كلها سبحانه فيقرر له بالوحدانية ويكف عما كان عليه من التولي والإعراض والجحود قال الله تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام وقد سأله فرعون: [قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى [٤٩] قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى [٥٠]، وهو جواب دل على كمال هيمنة الله سبحانه على كل شيء وعلى عموم إحسانه على جميع خلقه وخلق الله وآياته التي حجج بها موسى عليه السلام فرعون هي:

١. تسوية الأرض (الذي جعل لكم الأرض مهدا).
 ٢. وضع المسالك والمسارات فيها بين الجبال والأودية (وسلك لكم فيها سبلا).
 ٣. نزول المطر والغيث (وأنزل من السماء ماء).
 ٤. إخراج النبات والزرع (فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى).
 ٥. الأكل ورعاية الماشية كلوا وارعوا أنعامكم).
- وبعد أن ذكر لهم هذه الحجج والبراهين القاطعة راوغ فرعون موسى وبهت فتهدد وتوعد.

وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة البلاء العظيم التي عاشها موسى عليه السلام مع بني إسرائيل وفي هذه المرحلة كان أسلوب الحوار حاضرا في كثير كمن الحالات فقد حاور موسى بين إسرائيل حين علبدو العجل وحاورهم حين قالو إنا لمدركون وحاورهم في مواقف عديدة .

والذي يعيننا في من هذا كله في هذا الأمر هو أن نذكر أسلوب موسى عليه السلام وهو يدعو قومه إلى الاستقامة على دين الله - في تذكيرهم بنعم الله سبحانه وتعالى عليهم وهذا يوضح اعتماد موسى عليه والسلام على أسلوب الحوار في أكثر من مرحلة من مراحل دعوته لأن الحوار هو الذي يولد القناعات عند المدعوين وهذا ما يحتاجه الداعية ليوصل فكرته من أقصر طريق وهذا من الحكمة التي أمر الله بها في الدعوة حين قال وهو أصدق القائلين (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقد تضمنت هذه الآية التنبيه على أسلوب الحوار من جانبين الجانب الأول أن الحوار يدل على الحكمة وهو من مقتضياتها والثاني أن المجادلة بالتي هي أحسن هي الحوار الإيجابي الذي يضع النقاط على الحروف ويقنع الخصم بالحق الواضح وسيأتي مزيد بيان لمعنى هذه الآية في الفصل التالي فنسأل الله أن يرزقنا الحكمة.

المبحث الرابع

أسلوب الموعدة والمجادلة بالتي هي أحسن

نص الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في سورة النحل على هذا الأسلوب وأمر به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في دعوته كما قال تعالى في سورة النحل: [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]، قال السعدي رحمه الله: ((أي ليكن دعائك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح (بالحكمة) أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبدأة بالأهم فالأهم وبالأقرب للإذهان والفهم وبما يكون قبوله أتم وبالرفق واللين فإن انقاد بالحكمة وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعدة الحسنة وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب))^٢.

فقد بينت الآية الكريمة أن الدعوة إلى الله تكون بثلاثة أمور وهي:

أولاً: بالحكمة وهي أهم الثلاثة بل هي رأس الأمر فالداعية الحكيم مثل الطبيب الماهر الذي يعرف العلاج الناجع ويعرف لكل حال ما يناسبها ولكل مدعو ما يصلح له فالحكمة هي الإصابة في القول والإجادة في العمل ولذلك فقد امتدح الله تعالى أهل الحكمة ووصفهم بالخيرية فقال (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً)

١ - النحل: ١٢٥.

٢ - تفسير السعدي ص ٦٢٢. مرجع سابق.

ثانيا : الموعظة الحسنة والمقصود بالموعظة الحسنة: هي تلك التوجيهات الإلهية، والإرشادات الربانية النابعة من المحاولات القولية، التي يسديها الداعية إلى المدعوين، ليؤثر فيهم تأثيرا عميقا، للاستجابة لدعوة الحق، والتلبية لنداء الخير، والاهتداء إلى الطريق المستقيم، وهي من العوامل والأساليب التي تهز القلوب، وترج النفوس، وتفتح الأذهان، وتدمع العيون، وتبلل الأجفان، وتثير العواطف، وتهيج المشاعر، وتوجه الميول نحو الهداية والخير، وبالموعظة الحسنة يشعر الإنسان بضرورة مراقبة الله له، وحمية محاسبته إياه أمام أحكم الحاكمين يوم القيامة، فيخشاه في كل مساعيه حركة وسكونا، ويخاف عقابه في السر والعلن، ويتقي عذابه الذي سيحل في ساحة المخالفين الذين مرقوا عن دين الله تعالى، وخرجوا عن منهجه. فالدعوة إلى الله تعالى تفتقر إلى الموعظة الحسنة بل لا بد منها، لأنها من الأساليب الحكيمة التي تتجه دائما إلى هداية القلوب، لتحبب إليها الخير وتوجهها نحو السعادة وتنفر عنها الشر، وتعرضها عن كل ما يؤدي إلى المهالك والآفات، وذلك يكون بالرفق، واللين، والترغيب، والإغراء، ولذلك وصفت " الموعظة " بالحسنة، لأن هناك الموعظة السيئة، التي لا تؤثر في النفوس ولا تستميلها، ولا تفتح مغاليق القلوب، ولا تصغي إليها الأذان، ولا تتمشى مع العقول السليمة، بل ما تفسده أكثر مما تصلحه، لأنها ليست موعظة حسنة، فعلى الداعي أن يتجنب مثل هذا الأسلوب العقيم، الذي يسد طريق الخير على الناس، ويغلق نافذة النجاح على المدعوين. والموعظة الحسنة هي التي تدخل إلى القلوب برفق، وتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية. فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

ثالثا : المجادلة بالتي هي أحسن أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن وهي الأدلة الكلامية الدامغة التي يستعرضها الداعية عند مواجهة المخالفين، لإفحامهم وإسكاتهم، وذلك بمقابلة الحجّة بالحجّة، ومقارعة الدليل بالدليل، بالأسلوب الحكيم، لأن النفس البشرية لها

كبريائها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها. والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها. في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر.

وخلاصة هذه الأساليب الثلاثة أن كل من يقوم مقاماً من مقامات الرسول صلى الله عليه وسلم في إرشاد المسلمين أو سياستهم يجب عليه أن يكون سالكاً للطرائق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وإلا كان منصرفاً عن الآداب الإسلامية وغير خليق بما هو فيه من سياسة الأمة ولذلك فقد استخدم موسى في دعوته لفرعون أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن رغم محاولات فرعون الاستفزازية ومحاربتة الصريحة للدعوة إلا أن كل ذلك لم يغير في أسلوب موسى ولم يجعله يلجأ إلى المواجهة بل استمر في دعوته بالموعظة فاستمال القلوب وكسب الأنصار وهذه دعوة صريحة للمتعجلين في الدعوة الذين قدموا أسلوب المواجهة والمصادمة على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة فأضروا بالدعوة أكثر مما خدموها دعوة صريحة لهم أن يعودوا إلى منهج الأنبياء في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يتركوا التعجل الذي ربما يجر إلى سفك دماء لو صبرنا عليها ودعوناها لاستجابت ولانت للحق فمن كان يتوقع أن امرأت فرعون الذي فعل ما فعل مع موسى سوف تتبع موسى وهي أقرب الناس إلى فرعون كل ذلك من آثار الدعوة المباركة بالحكمة والموعظة الحسنة.

نماذج من الحكمة في دعوة موسى عليه السلام:

ولنذكر على سبيل المثال بموقفين اثنين من مواقف موسى التي تدل على الحكمة في دعوته لفرعون أما الموقف الأول فحين قال له فرعون في ختام الحوار الذي دار بينهما قال

تعالى: [قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ] ^١ لما رأى موسى أن فرعون بدأ يخرج إلى التهديد ويتهرب من المناظرة رأى أن من الحكمة أن يدير هو كذلك دفعة الحوار إلى ما يجعل فرعون يتفاعل معه في زمن كان الناس فيه يتنافسون في السحر ويتفننون فيه فقال: [قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ] ^٢ وفعلا نسي فرعون ما كان يتهدد به موسى من السجن وبدأ يتجاوب معه بشكل سريع لأنه وجد أن موسى فتح له بابا ليس في صالحه فقال بسرعة [قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] ^٣.

وهكذا بهذه الحكمة استطاع موسى أن يمتص انفعال فرعون ويكسب فرصة أخرى ليعرض دعوته على فرعون وقومه وأما الموقف الثاني من المواقف التي تدل على الحكمة والموعظة التي استخدمها موسى في دعوته فهو ما حدث لما سأله السحرة من يبدأ أولا نحن أم أنت فقال لهم بل أنتم لأنه وهذا يدل على حكمته فهو يريد أن يرى ما لديهم أولا ثم يظهر ما عنده من المعجزة الربانية ويهزم حيلهم ومكرهم قال تعالى حاكيا هذا الموقف في سورة الأعراف قال تعالى: [قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ] [١١٤] قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ] [١١٥] قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ] [١١٦] وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ] [١١٧] فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] [١١٨] فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ] [١١٩].

ولو تتبعنا الحكمة في دعوة موسى عليه السلام لوجدنا العديد من المواقف ولكن أتينا بمثالين للتوضيح لا للحصر والله من وراء القصد .

١ - الشعراء: ٢٩ .

٢ - الشعراء: ٣٠ .

٣ - الشعراء: ٣١ .

٤ - الأعراف: ١١٥-١١٩ .

الفصل الرابع

عوامل النجاح في قصة موسى مع فرعون

المبحث الأول: الأخذ بالأسباب

المبحث الثاني: الارتباط بالدعاء

المبحث الرابع: ترتيب الأولويات

المبحث الثالث: الصبر وعدم الاستعجال

تمهيد:

إن من الأهداف الأساسية من ذكر قصص الأنبياء في القرآن الكريم أخذ العظة والعبرة ولذلك فقد قص الله علينا قصصهم في القرآن الكريم وبين الغاية من ذلك كما قال تعالى في آخر سورة يوسف: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]، فبين لنا سبحانه وتعالى أن هذه القصص لم تكن من الأحاديث المختلفة ولكنها مصدقة ومطابقة للواقع لتكون عبرة يعتبر بها أصحاب العقول الصحيحة والقلوب الواعية قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: "لقد كان في قصصهم أى قصص الرسل ومن بعثوا إليهم من الأمم أو في قصص يوسف وإخوته وأبيه عبرة لأولي الألباب والعبرة الفكرة والبصيرة المخلصة من الجهل والحيرة وقيل هى نوع من الاعتبار وهى العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول وأولوا الألباب هم ذوو العقول السليمة الذين يعتبرون بعقولهم فيدرون ما فيه مصالح دينهم وإنما كان هذا القصص عبرة لما اشتمل عليه من الإخبارات المطابقة للواقع مع بعد المدة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الرسل الذين قص حديثهم ومنهم يوسف وإخوته وأبوه مع كونه لم يطلع على أخبارهم ولا اتصل بأخبارهم ما كان حديثا يفتري أى ما كان هذا المقصوص الذى يدل عليه ذكر القصص وهو القرآن المشتمل على ذلك حديثا يفتري ولكن تصديق الذى بين يديه أى ما قبله من الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور وقرئ برفع تصديق على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو تصديق وتفصيل كل شئ من الشرائع المجملة المحتاجة إلى تفصيلها لأن الله سبحانه لم يفرط فى الكتاب من شئ وقيل تفصيل كل شئ من قصة يوسف مع إخوته وأبيه قيل وليس المراد به ما يقتضيه من العموم بل المراد به الأصول والقوانين وما يؤول إليها وهدى فى الدنيا يهتدى به كل من أراد الله هدايته ورحمة فى الآخرة يرحم الله بها عباده العاملين بها فيه شرط الإيمان الصحيح ولهذا قال لقوم يؤمنون أى يصدقون به وبما تضمنه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

وشرائعه وقدره وأما من عداهم فلا ينتفع به ولا يهتدى بما اشتمل عليه من الهدى فلا يستحق ما يستحقونه" انتهى كلامه رحمه الله .^١

وقد بينت ذلك في مقدمة هذه الرسالة وخصصت هذا الباب لذكر عوامل النجاح في دعوة موسى عليه السلام لنستفيد منها ولنحقق الهدف من سرد القصص في القرآن الكريم، ولا أزعم أي قد حصرت جميع العوامل ولكن ما كان ظاهرا منها وواضحا لعل الله أن ينفعنا بها .

١ - فتح القدير ج ٣: ص ٦١ مرجع سابق

المبحث الأول الأخذ بالأسباب

بداية وقبل أن نذكر الأخذ بالأسباب كعامل من عوامل النجاح في دعوة موسى عليه السلام يجب أن نوضح ونبين بأن أسباب النجاح تنقسم إلى قسمين الأسباب المعنوية وهي الأهم ثم الأسباب المادية وهي مطلوبة ومهمة كذلك فأما الأسباب المعنوية فمنها التوكل على الله تعالى والثقة بالنصر والدعاء وهذه ليست مقصودة في هذا الفصل وسيأتي الكلام عنها في الفصول القادمة وإنما المقصود هنا هو الأسباب المادية الظاهرة فالأخذ بالأسباب المادية سنة من سنن الله سبحانه وتعالى التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتنافى مع التوكل فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسباب والمسببات ولو أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ولكنه أراد أن يتعبد الخلق ببذل الأسباب المادية والمعنوية

لا شك أن موسى عليه السلام أخذ كغيره من الأنبياء بهذه السنة الربانية في بذل الأسباب والأمثلة على ذلك كثيرة فمنها مايلي :

أ - أنه طلب مؤازرة أخيه هارون فالإنسان يحتاج إلى إخوانه لا يستغني عن الآخرين فالاستعانة بالمخلوق في ما يقدر عليه وطلب النصرة والحماية صورة من صور بذل الأسباب التي حرص عليها موسى عليه السلام لأن موسى كلف بالذهاب إلى طاغية زمانه فرعون فهو بحاجة إلى من يقاسمه ويشاركه هذا المهم ومما يدل على سلامة هذه الفكرة وصوابها أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر على موسى هذا الطلب بل أجابه إليه وعلاوة على الإجابة أنه أوحى إلى هارون ليكون نبيا مكلفا بالرسالة ولذلك فقد ذكر بعض العلماء أنه ليس هناك أخ من على أخيه بمنة أعظم مما فعله موسى لهارون فقد صار نبيا ببركة سؤاله قال تعالى: **[يَفْقَهُوا قَوْلِي [٢٨] وَاجْعَل لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي [٢٩] هَارُونَ أَخِي [٣٠] اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي**

[٣١] وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي [٣٢] كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا [٣٣] وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا [٣٤] إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا
بَصِيرًا [٣٥] قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى [٣٦].

ب - صورة أخرى وهي طلب موسى من ربه أن يحلل عقدة لسانه فقد كان موسى فيه
لثغة في لسانه ولذلك كان من جملة ما عابه فرعون أن قال (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين
ولا يكاد يبين) فطلب موسى من ربه أن يحلل عقدة لسانه كما قال تعالى حاكيا ذلك عنه:
[وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي [٢٧] يَفْقَهُوا قَوْلِي [٢٨]، وهذا دليل على إيمان موسى وقناعته
بأهمية اللسان في الدعوة وأنه من الأسباب المطلوب بذلها لإيصال الدعوة والتبليغ فاللسان
هو وسيلة البيان وله أهميته في مثل هذا المقام.

ج - صورة أخرى من صور بذل الأسباب حين كان فرعون قد لحق بموسى ومن معه
ليقتلهم وصار البحر أمامهم والعدو من خلفهم فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر
فينفلق البحر ليكون طريقا يابسا لينجو موسى ومن معه: [فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ
بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ [٦٣] وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ [٦٤]
وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ [٦٥]، فهذه تربية ربانية لموسى ومن بعده من الأنبياء
والدعاة تشير إلى أهمية بذل الأسباب وإلا فماذا تصنع العصا الصغيرة التي يحملها موسى
بيده في هذا البحر المتلاطم الذي لا يرى أوله من آخره ولكنه درس فهمه موسى واستوعبه
تماما وعمل به في دعوته وهو الأخذ بالأسباب فنحن أحوج ما نكون إلى بذل السبب من
الأنبياء الذين لم يتركوه مع كونهم مؤيدين بالمعجزات الباهرة.



١ - طه: ٢٨ - ٣٦ .

٢ - طه: ٢٧ - ٢٨ .

٣ - الشعراء: ٦٣ - ٦٥ .

المبحث الثاني الارتباط بالدعاء

الدعاء سلاح المؤمن الذي لا ينبغي أن لا يتركه في أي حال من أحواله في السراء والضراء في الصباح والمساء وهذا كان دأب الأنبياء وأحبينا في هذا الفصل أن نذكر ونبين كيف كان موسى عليه السلام مرتبطاً بالدعاء في سائر مراحل دعوته لفرعون لنبين أهمية الدعاء في الدعوة إلى الله تعالى لقد بدأ موسى دعوته منذ بداية التكليف، فعند أول مواجهة مع الظالمين، وبعد أن وكز موسى عليه السلام القبطي ففضى عليه، وتمت ملاحظته عليه السلام من قبل فرعون وجنوده وأجهزة مخابراته وأصبح في المدينة خائفاً يترقب، عند ذلك قال: [فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]، فهو يطلب الحماية من الله سبحانه وتعالى، وأن ينجيه منهم، ولقد استجاب الله لدعائه.

ولما اقتربت ساعة المواجهة رفع موسى حاجته لمن تُرفع له الحاجات ويقضيها قائلاً:
[قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي [٢٥] وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي [٢٦] وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي [٢٧] يَفْقَهُوا قَوْلِي [٢٨] وَاجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي [٢٩] هَارُونَ أَخِي [٣٠] اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي [٣١] وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي [٣٢]، ولقد أُجيبَت دعوته: [قَالَ قَدْ أُوتِيَْتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى]، فشرح الله صدره، ويسر أمره، وقضى سؤله.

وها نحن نرى موسى عليه السلام (يدعو على فرعون وملئه لما أبوا قبول الحق، واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظلماً وعلواً وتكبراً وعتواً، حينئذ قال:

١ - القصص: ٢١ .

٢ - طه: ٢٥-٣٢ .

٣ - طه: ٣٦ .

[وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...]^١، أي من أثاث الدنيا ومتاعها، وأموالاً جزيلة كثيرة في هذه الحياة الدنيا، [رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ]، أي أعطيتهم ذلك وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم استدراجاً منك لهم)^٢.

بعد هذا يسأل موسى ربه أن يمحق أموالهم ويشدد على قلوبهم، [رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [٨٨] قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ]^٣. إنَّه عليه السلام يدعو ربه (لتجريد القوة الباغية المضلة من وسائل البغي والإغراء، وأن يطمس الله على هذه الأموال بتدميرها والذهاب بها، بحيث لا ينتفع بها أصحابها)^٤.

وها هو موسى يتوجه إلى الله بالدعاء حين أحس أن القوم لن يؤمنوا له ولن يستجيبوا لدعوته؛ ولن يسالموه أو يعتزلوه. وبدا له إجرامهم أصيلاً عميقاً لا أمل في تخليهم عنه. عند ذلك لجأ إلى ربه وملاذه الأخير: [فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ]^٥، فاستجاب الله دعاءه فأغرقهم أجمعين.

ومن الشواهد على أهمية الدعاء ما نطق به السحرة حين تعرّضوا لفتنة القتل والصلب، حين قالوا: [رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ]^٦، فهناك ساعات لا بدّ فيها من معونة الله ومدده، فاستجاب الله لهم فثبّتهم على أبشع صورة قتل في التاريخ.

١ - يونس: ٨٨ .

٢ - تفسير ابن كثير ٢ / ٤٣٠ مع بعض التصرف. مرجع سابق .

٣ - يونس: ٨٨-٨٩ .

٤ - في ظلال القرآن ٤ / ٤٧٠-٤٧١ . مرجع سابق .

٥ - الدخان: ٢٢ .

٦ - لست هنا بصدد استقصاء كل الأدعية الواردة في هذه المواجهة، وإنما يكفي ما يدل على أن الدعاء وسيلة حاضرة فيها.

٧ - الأعراف: ١٢٦ .

ونجد الدعاء حاضرا في قلوب الفئة القليلة التي آمنت بموسى عليه السلام حين خافت
الفتنة من القوم الظالمين فتوجهت إلى الله بالدعاء: [فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] [٨٥] وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الكَافِرِينَ [٨٦].^١ وإيهم لجئوا إلى من يجب
اللجوء إليه.

وهنا لا بد من تنبيه حيث أنّ بعض المسلمين يُقَصِّرون في الدعاء إمّا عن جهل وقلة علم،
وإمّا عن عدم ثقة بالإجابة، وهنا تكمن الكارثة. نعم قد تتأخر الإجابة إلى حين يُقدره الله
بعلمه وحكمته يعلمها هو سبحانه، ولذلك تجد كثيرا من الناس يقولون: قد دعونا على
الأعداء فلم يزدادوا إلاّ قوة وعنجهية! والجواب أنّ الإجابة لا تكون كما يهوى الناس
ويتصورون، فقد يكون التأخير لابتلاء الإيمان في الصدور، وقد يكون لتصفية الصف المسلم
من المُحَبِّطين، وقد يكون استدراجا للعدو فيبالغ في الاستكبار والتمرد والغفلة... فلحكمة
ما تُؤجل الإجابة، والواجب إذا هو الثقة المطلقة بالإجابة ولو بعد حين، بل ربما يدخر الله
إجابتها إلى يوم القيامة في ميزان الحسنات، (فالاستقامة في الدعاء ترك الاستعجال في
حصول المقصود، ولا يسقط الاستعجال من القلب إلا باستقامة السكينة فيه، ولا تكون
السكينة إلا بالرضا الحسن لجميع ما يبدو من الغيب).^٢

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي"^٣. وفي رواية لمسلم عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو
قطيعة رحم ما لم يستعجل. قيل يا رسول الله: ما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد

١ - يونس: ٨٥-٨٦ .

٢ - تفسير القرطبي ٣٧٦/٨ . مرجع سابق .

٣ - صحيح البخاري، كتاب الدعوات وقول الله تعالى ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل ٥/ ٢٣٣٥ رقم ٥٩٨١ . مرجع سابق .

دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء^١. ولعل من أبرز المراحل الحرجة التي دعا موسى ربه فيها حين حاصره فرعون وقال أصحاب موسى وهم في حالة من الخوف إنا لمدركون هنا لقنهم موسى درسا بليغا في التوكل والاعتماد على الله في الدعاء فقال بثقة وثبات كلا إن معي ربي سيهدين فكانت دعوة مستجابة فما هي إلا لحظات حتى انقلبت الموازين وكان موسى ومن معه في مأمن وفرعون وجنوده بين أمواج البحر تبتلعهم وتقتلهم وتطهر الأرض من كفرهم، وفي نهاية الطريق بعد أن بذل موسى الأسباب وأقام الحجج على فرعون لجأ كذلك إلى الدعاء فكان مسك الختام حين دعا على فرعون الذي لم يزد إلى عتوا ونفورا رغم وضوح الحق واقتناعه في قرارة نفسه بالحق الذي لم يمنعه من استجابته إلا الكبر والعناد كما قال تعالى: [وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَتَهُ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ] [٨٨] قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [٨٩]، وبهذا نختم هذا المبحث المبارك ومن خلاله يتبين حرص موسى عليه السلام على الدعاء منذ بداية التكليف وارتباطه به . إنها دعوة مباركة بدأت بالدعاء وانتهت بالدعاء وبين البداية والنهاية دعاء متواصل هكذا كان موسى عليه السلام متصلا بربه في جميع مراحل دعوته فهل تذكر دعاء اليوم هذا السلاح وهم يواجهون طواغيت العصر الحديث أحفاد فرعون في الطريقة والمنهج هنا يكونون فعلا قد استفادوا من قصة موسى عليه السلام في دعوتهم واتبعو طريق الأنبياء.

١ - صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي ٤/٢٠٩٦ رقم ٢٧٣٥ . مرجع سابق .

٢ - يونس: ٨٨-٨٩.

المبحث الثالث

الصبر وعدم الاستعجال

الصبر عامل مهم جدا من عوامل النجاح في قصة موسى عليه السلام وهو خلق حميد امتدح الله به أنبيائه بل جعله سبحانه وتعالى سببا من أسباب الإمامة في الدين قال تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ [٢٣] وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [٢٤].^١ قال الشاعر:

والصبر مثل اسمه مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

وأصل الصبر لغة: الحبس وكل من حبس شيئا فقد صبره)^٢، و(الصبر حبس النفس عن الجزع)^٣.

وعند المفسرين: (حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها)^٤، أو هو (حبس النفس على مشاق الطاعة والنوائب والمكاره)^٥.

ولقد أكثر القرآن من ذكر الصبر في قصة موسى عليه السلام مع فرعون؛ ذلك أن المواجهة مع فرعون مع ما كان عليه من البطش والظلم والطغيان تحتاج إلى الصبر على ما

١ - السجدة: ٢٣ - ٢٤.

٢ - لسان العرب، مادة: صبر ٤/٤٣٨ . مرجع سابق

٣ - الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر مختار الصحاح، مادة: صبر ١/١٤٩ .

٤ - تفسير النسفي ٤/١٦٣، وانظر: البيهقي: أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى، ٣٨٤-٤٥٨ هـ.

٥ - فيض القدير ١/٤٨٥ . مرجع سابق.

تحمله هذه المواجهة من آلام جسام، فمقارعة الطواغيت تعني جهادا لا يثبت فيه إلا من وهب نفسه لله، وأيقن بوجوب حبس نفسه على ما تكره، وقدرته على دفعها رغم المخاوف والشدائد، فالطاغوت لا يستسلم بسهولة، وسيدافع بشراسة عن منهجه ونظامه، مستعملا كافة ما لديه من وسائل ليثني من عزم من يعارضه، متجاوزا كل القيم والمثل والأخلاق، لا يردعه ضمير ولا يمنعه إيمان، فليس أمامه سوى مصالحه ومكتسباته التي يدافع عنها بكل ما أوتي من قوة وجبروت. من هنا كان على من أراد المواجهة أن يتزود بزاد الصبر، فهي مواجهة ساخنة مكلفة، تحتاج منا الشهداء والجرحى والسجناء والمعذبين... وكل ذلك يتطلب صبرا وتجلدا

والصبر وصية المؤمنين بعضهم لبعض، يقول تعالى: [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]، وهو الطريق للإمامة في الدين والدنيا، يقول تعالى: [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ]، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، والقيادة والريادة في الدنيا، وبه تكون معية الله "والله مع الصابرين"^٣، إنه سبحانه معهم ينصرهم ويكلؤهم ويرعاهم حتى يظفروا بما طلبوا.

والصبر نوعان:

نوع على المقدور كالمصائب، ونوع على المشروع، وهذا النوع -أيضا- نوعان: صبر على الأوامر وصبر عن النواهي، فذاك صبر على الإرادة والفعل وهذا صبر عن الإرادة والفعل. فأما النوع الأول من الصبر فمشارك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر، لا يثاب عليه لمجرده إن لم يقترن به إيمان واختيار.. يقول تعالى: [وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ

١ - العصر: ٣.

٢ - السجدة: ٢٤.

٣ - الأنفال: ٦٦.

بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا^١، فالصبر بدون الإيمان والتقوى بمنزلة قوة البدن الخالي عن الإيمان والتقوى، وعلى حسب اليقين بالمشروع يكون الصبر على المقدور، وقال تعالى: [فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ]^٢، فأمره أن يصبر ولا يتشبه بالذين لا يقين عندهم في عدم الصبر، فإنهم لعدم يقينهم عُدِمَ صبرهم وخفوا واستخفوا قومهم، ولو حصل لهم اليقين والحق لصبروا وما خفوا ولا استخفوا، فمن قلَّ يقينه قلَّ صبره، ومن قلَّ صبره خف واستخف، فالموقن الصابر رزين لأنه ذو لب وعقل، ومن لا يقين له ولا صبر عنده خفيف طائش تلعب به الأهواء والشهوات كما تلعب الرياح بالشيء الخفيف^٣، وفي الحديث: "والصبر ضياء"^٤، والمراد (أن الصبر محمودٌ، لا يزال صاحبه مستضيئًا مهتديًا مستمرًا على الصواب)^٥.

الصبر (نور قوي تنكشف به الكربات وتنزاح به غياهب الظلمات، فمن صبر على ما أصابه من مكروه - علمًا بأنه من قضاء الله وقدره - هان عليه ذلك، وكفي عنه شره، وادخر له أجره، ومن اضطرب فيه وأكثر الجزع والهلع لم ينفعه تعب، ولا يدفع سعيه شيئًا من قدر الله، بل يتضاعف به همه ويحبط أجره، والعبد بالصبر يخرج عن عهدة التكليف، ويقوى على مخالفة الشيطان والنفس، فيفوز في الدارين فوزًا. والضيء النور القوي، والإضاءة فرط الإنارة)^٦.

١ - آل عمران: ١٢٠ .

٢ - الروم: ٦٠ .

٣ - ابن القيم الجوزية: أبو عبد الله ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ٦٩١-٧٥١هـ، التبيان في أقسام القرآن، جزء واحد، دار الفكر. ٥٥ / ١ .

٤ - صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ٢٠٣ / ١ رقم ٢٢٣ . مرجع سابق .

٥ - النُّووي: أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري، (٦٣١ - ٦٧٦هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨ جزء، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ. ١٠١ / ٣ .

٦ - فيض القدير ٢٩١ / ٤ . مرجع سابق .

والصبر الذي يكون لله وفي سبيل الله ثوابه غير مقدر، يقول تعالى: [قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ]، وكفى بهذا الأجر غير المقدر حافظاً لمواجة الطاغوت وتحمل أذاه، فلنصبر صبراً جميلاً لاجزع فيه ولا شكوى، بل نبث همنا وكربنا إلى الله وحده.

وهكذا ربّى القرآن النفوس في مكة وهي تواجه الأذى والكرب والضيق، وهكذا يُربّي كلّ صاحب عقيدة يواجه الطغيان والظلم. إنه يُقدّم لنا النماذج العظيمة والدروس البليغة، فالطريق إلى تلك القمم يمرّ عبر بوابة الصبر والمصابرة، ولن يتمّ الصعود بالأمنية العاجزة الذليلة. لقد (جعل الله حال امرأة فرعون مثلاً لحال المؤمنين ترغيباً لهم في الثبات على الطاعة والتمسك بالدين والصبر في الشدة)؛ يقول تعالى: [وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]؛ ذلك (أنّ الاستعاذة بالله والإلتجاء إليه ومسألة الخلاص عند المحن والنوازل والصبر عليها من سير الصالحين)؛.

إنّها المرأة القدوة والنموذج والمثال، لقد اجتمعت فيها عدة عوامل رفعتها إلى هذا النموذج الإنساني الرفيع، وفي "هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة، أي لا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون"؛، فما هو قول الضعفاء والعاجزين الذين يُخفون عجزهم تحت معاذير واهية؟

١ - الزمر: ١٠ .

٢ - فتح القدير ٢٥٦/٥ . مرجع سابق .

٣ - التحريم: ١١ .

٤ - تفسير النسفي ٢٦١/٤ مع بعض التصرف . مرجع سابق .

٥ - تفسير القرطبي ٢٠٣/١٨ . مرجع سابق .

وهي -أيضا- تعيش حياة مترفة منعمة، مما يجعل الانتقال إلى النقيض أمرا في غاية الصعوبة على النفس، ومع ذلك قبلت تلك النقلة البعيدة، وتحولت من سعة القصور والحياة المترفة إلى المواجهة وتحمل العذاب بأقصى صورته دمويّة، وفي هذا درس للمترفين الذين عبدوا شهواتهم ونزواتهم، وخافوا على رؤوس أموالهم، وتذرّعوا بمصالحهم فقعدوا عن القيام بواجبهم، وهو درس لأؤلئك الذين يقبلون بالفتات ويخنعون ويستسلمون!

ثم هي تعيش في ظلّ أعتى شخصية، ولكنها تحررت وصارت بإيمانها بالله في جنات النعيم، لقد (انفصلت بباطنها عن بعلمها طاعة الله وتوكلا عليه وخوفا منه فنجاها الله وأكرمها، ولم تضرها تلك الصلة الظاهرة بأخبث عبيد الله)^٢، وفي هذا نسف لكل المبررات الواهية التي تُضخّم من شأن الطاغية وقوته وجبروته.

وهي لم تسأل الله أن يُنجيها من نفس فرعون الخبيثة فقط، بل ومن عمله وكفره وعبادته غير الله تعالى وتعذيبه للناس وقتلهم بغير ذنب، وإلى غير ذلك من القبائح التي يرتكبها ذلك الأحمق^٣؛ ذلك أنّها حملت قضية ورسالة، وكفى بهذا رفعا لقدر المرأة في المفهوم القرآني.

وقد أثنى الله تعالى على عبده أيوب عليه السلام بهذه الصفة ثناءً عجيباً فقال عنه [وَأَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ]، وموسى عليه السلام دعا قومه إلى الصبر على ما يلاقونه من فرعون وقومه حين شكوا إليه أمرهم وضعف حيلتهم فأرشدهم إلى الصبر وبين لهم عاقبة الصبر الحميدة وهي إهلاك العدو والاستخلاف

١ - انظر: فتح القدير ٢٥٦/٥ . مرجع سابق .

٢ - الزركشي: أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله، (٧٤٥-٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، ٤ أجزاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ. ١/١٦٤ مع بعض التصرف.

٣ - انظر: الألوسي: أبو المعالي، محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين، (١٢٧٣-١٣٤٢هـ)، روح المعاني في تفسير

القرآن العظيم والسبع المثاني، ٣٠ جزءاً، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٨/١٦٣ .

٤ - سورة ص: ٤٤ .

في الأرض قال تعالى: [قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] [١٢٨] قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ] [١٢٩].

فهي وصايا عظيمة من نبي كريم لقومه أن يستعينوا بالله ويصبروا وهذه الوصية صادرة من معلم الصبر القدوة في الصبر الذي صبر في مواجهة فرعون وصدد أمام تهديداته ومؤامراته وفعلا لقد كانت عاقبة صبرهم التمكين ووراثة الأرض بعد هلاك فرعون فتأمل في قوله تعالى: [وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ]^٢ فكانت هذه هي العاقبة الحميدة للصبر التي وعدهم بها موسى عليه السلام تحقق الوعد لتحقق الصبر ولو تأملنا أكثر في قصة موسى عليه السلام لوجدنا أن الصبر كان عاملا أساسيا من عوامل نجاح دعوته في جميع مراحلها كيف لا وهو الذي تربى على الصبر حين عمل راعيا للغنم لمدة عشر سنوات مع شعيب عليه السلام فرعي الأغنام وظيفه الأنبياء قبل أن يحملوا أعباء الدعوة فتعلموا منها صفات عديدة من أهمها الصبر ولذلك فقد اقتدى نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) بموسى عليه السلام في الصبر وجعله مثلا يحتذى به كما جاء في الحديث المتفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين أثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينه بن حصن مثل ذلك وأعطى ناسا من أشرف العرب وآثرهم يومئذ القسمة فقال رجل: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله فقلت والله لأخبرن رسول الله فأتيته فأخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال

١ - الأعراف: ١٢٨-١٢٩ .

٢ - الأعراف: ١٣٧ .

: ((فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ ثم قال يرحم الله موسى قد أوزي بأكثر من هذا فصبر))^١ فقلت لا جرم لا أرفع إليه حديثاً إليه بعده .

ففي الحديث دليل على الصبر الذي تميز به موسى عليه السلام في دعوته حتى دعا له نبينا محمد بالرحمة وبين أنه أوزي بأكثر مما أوزي به فصبر وهي شهادة عظيمة من نبي عظيم وكفى بها شهادة وقبل أن نختم هذا الفصل نذكر لطيفة لها تعلق بموضوع الصبر ذكرها بعض المفسرين في قوله تعالى: [وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ] [٨٨] قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] [٨٩]^٢، وهذه اللطيفة التي ذكرها المفسرون هي أن الله عبر عن استجابته لموسى عليه السلام بعد أن دعا على فرعون بقوله قد أجيبت دعوتكما رغم أن الفاصل الزمني بين الدعاء والإجابة كان أربعين سنة كما نقل ذلك ابن كثير عن ابن جريج^٣ وهذا درس في الصبر لم يفهمه كثير من المتعجلين في الدعاء فالنصر مع الصبر والله مع الصابرين.

١ - البخاري برقم ٣١٥٠ كتاب فرض الخمس لجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ومسلم في صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي رقم ١٠٦٢ كتاب الزكاة .

٢ - يونس: ٨٨ - ٨٩ .

٣ - راجع تفسير ابن كثير ج / ٢ ص ٤٣٠ . مرجع سابق .

المبحث الرابع ترتيب الأولويات

نسمع دائماً عن مصطلح (ترتيب الأولويات) ومعناه أن يبدأ الإنسان بالأهم فالمهم فهل كان لترتيب الأولويات اهتماماً في الدعوة التي قام بها موسى عليه السلام للإجابة على هذا التساؤل يجب أن نعلم أولاً أن هذا المصطلح وإن كان حادثاً إلا أنه من البديهيات التي ينبغي على كل داعية أن يلتفت لها في دعوته بل كل مسلم في حياته لا بد أن يقدم الأهم على المهم في سائر شئونه ولذلك فقد اعتنى الأنبياء في خطابهم للناس أن يبدأوا معهم بأولى الأولويات وهو دعوتهم لتوحيد الإلهية كما قال تعالى: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ]¹.

وكذلك موسى عليه السلام كغيره من الأنبياء بدأ بدعوة قومه إلى التوحيد فهو أولى الأولويات في دعوته ولذلك فقد ناقشه فرعون في هذا الأمر دون غيره لأنه شعر بأن موسى ركز عليه وبدأ به فقال وما رب العلمين فبدأ موسى يشرح لهم معنى التوحيد. فالخلل في ترتيب الأولويات عند الداعية إلى الله، مرده الجهل بفقهاء الأولويات، فينبغي وضع كل شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأولى فالأولى بناء على معايير شرعية صحيحة يهدي إليها نور الوحي ونور العقل، فيوضع كل شيء في موضعه بالقسطاس المستقيم بلا طغيان ولا خسران، والداعية الذي لا يمتلك ميزان فقه الأولويات يسقط في فخ المصلحة الآنية إن عاجلاً أم آجلاً؛ الأمر الذي يضر بالداعية نفسه وبالذعوة

١ - النحل: ٣٦

برمتها. وما أجمل ما كتبه الشيخ عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر، حيث قال ((لا بد للداعية إلى الله من مراعاة الأولويات في الدعوة إلى الله جل جلاله فلا يبدأ بالمهم قبل الأهم، ولا يبدأ بالفروع قبل الأصول، بل لا بد أولاً من ترسيخ العقيدة وبيان الإيمان وتقرير أصول الدين، ثم بعد ذلك ينتقل إلى بيان الأحكام الشرعية والأوامر والنواهي، والأخلاق والآداب، فالداعية إذا أراد الدعوة إلى ذلك، فليبدأ بالدعوة إلى التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، إذ لا تصح الأعمال إلا به، فهو أصلها الذي تبنى عليه، ومتى لم يوجد لم ينفع العمل، بل هو حابط، إذ لا تصح العبادة مع الشرك، كما قال سبحانه وتعالى: [مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ]، ولأن معرفة معنى الشهادة هو أوجب على العباد، فكان أول ما يبدأ به في الدعوة، فهذا هو منهج الأنبياء جميعهم في الدعوة إلى الله جل جلاله يبدؤون أولاً بدعوة اقوامهم إلى توحيد الله وإخلاص الدين له، ونبذ الشرك، ثم بعد ذلك يعلمون من نطق بالتوحيد وافر به بقية شرائع الدين، وهكذا كان الشأن في خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، واتباعه بإحسان إلى يوم الدين، روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: " إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله - وفي رواية " ان يوحدوا الله " - فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب "، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وقد علم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فبذلك يصير

الكافر مسلماً والعدو ولياً، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال " ثم بعد الدعوة إلى التوحيد تبين الأحكام، ويدعى الناس إليها وتعالج الأمراض الفاشية في المجتمع، فنبى الله لوط عليه السلام ركز بعد الدعوة إلى التوحيد على التحذير من فاحشة اللواط لفشوها في قومه، ونبى الله شعيب عليه السلام ركز على التحذير من نقص الكيل والوزن، وهكذا بقية الرسل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين يهذبون العقائد أولاً ثم يستصلحون بعد ذلك الجوانب الأخرى من الفساد، وهدفهم مقصودهم من ذلك كله هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به، وينجو من النار، وسخط الجبار)) انتهى كلامه حفظه الله.

فالداعية الناجح يعرف ما الذي ينبغي عليه أن يعرف ما الذي يجب أن يبدأ به في دعوته وما الذي يستحسن تأخيره ومثل هذه الأمور لا يمكن للداعية أن يدركها إلا إذا تأمل في دعوة الأنبياء والله تعالى ولي التوفيق .

١ - من مقالة للدكتور البدر: عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر من مجلة الدعوة - العدد ١٦٧٥ - ١٤١٩ هـ .

الخاتمة

النتائج والتوصيات

- إن في قصة موسى عليه السلام مع فرعون من الدروس والعبر والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين عبرة للناس وبيان واضح جلي على نصر الله وتأييده لعباده المؤمنين والدعاة الصادقين وإنما يتتفع بهذه القصة وأمثالها من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وأما الغافلون فكم من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يحدث من التطاول والتفاخر والاستعلاء من قبل الطواغيت وأعوانهم في مشارق الأرض ومغارها لدليل واضح على غفلتهم وعدم انتفاعهم بما حدث لفرعون وغيره من الطغاة والبلغاة.
- لا شك ولا ريب أن هناك حكمة بالغة من وجود الطغاة في أي زمان ومكان وذلك هو قضاء الله وقدره في خلقه وله الحكمة البالغة، فالحياة دار بلاء وامتحان واختبار حيث (أراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر)^١، فالحياة قائمة على الصراع المستمر بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- إن فرعون لعنه الله وأمثاله امتحان من الله للبشرية، قال الله تعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ]^٢.

١ - تفسير القرطبي ١٣/١٨ . مرجع سابق .

٢ - يونس: ٩٩ .

• إن الدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر واستمرار وحكمة وبيان وبذل الأسباب ولا يلزم بعد ذلك كله الاستجابة وإنما نحن متعبدون ببذل الأسباب... ولكن لن يكون ضعف الدليل أو عدمه سببا بعد أن أُقيمت الحجة وسطع البرهان. (لأنّ على قلبه وسمعه و بصره موانع تصد عن الفهم والقبول، وهكذا حال من غلب عليه هواه)، وهذه حقيقة على حملة الدعوة إلى الله أن يتنبهوا لها، يقول تعالى: [وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ]؛ ذلك أنّ المانع عن الإيثار سبب آخر لا يتعلق بضعف الدليل أو قوته.

• إن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من أجل الأفعال، وأعظم الأعمال التي يؤديها المسلم في دنياه، و يحتسبها لآخرته، ويضعها في ميزان حسناته، بل هي من الهموم التي تقعه وتقيمه ويفكر فيها ليل نهار، يبحث عن نوافذ للأمل، ومخرج من الضيق، فالدعاة إلى الله يقومون بمهمة بالغة الشأن، عظيمة الأهمية، لا يعلم قدرها إلا من تعلق قلبه بها، وجعلها محور حياته، كيف لا وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم من المصلحين فالدعاة إلى الله هم الشموع، التي تحترق لتضيء للناس طريق الهدى والحق الضياء، وهم وعي الأمة المستنير و فكر الأمة الحر، وهم قلب الأمة النابض، وأطباء القلوب المريضة والنفوس الجريحة، بل هم قادة سفينة النجاة في وسط الرياح الهوجاء، والأمواج المتلاطمة. فالدعاة إلى الله لا يعيشون لأنفسهم، ولا للذاتهم، ولا لشهواتهم، لأن الذي يعيش لنفسه، يعيش صغيراً، ويموت صغيراً أما الدعاة الصادقون المخلصون، فإنهم يعيشون لدعوتهم، لأمتهم، لمجتمعهم، فدعوتهم

١ - فتاوى ابن تيمية ١٦ / ٥٨٥ . مرجع سابق .

٢ - الأنعام: ١١١ .

همهم بالليل والنهار وهي فكرهم في النوم واليقظة، و شغلهم الشاغل في السر والعلن، يؤثرون من أجلها التعب والنصب، ويضحون في سبيلها بالوقت والجهد والمال، بل وبالمهج والأرواح، ويستعذبون في سبيل نشرها وإبلاغها، البلاء الشديد والعذاب الأليم.

• إن من يحمل رسالة الأنبياء، عليه أن يتحرى سلامة المنهج، وحسن السير على الطريق، فيتأمل الماضي القريب، ويعيش المستقبل المأمول، ويساير الواقع الحاضر بحكمة وروية، يرى سير الدعوة بين قوتها وضعفها، بين مدها وجزرها، وما تموج به الساحة من الآراء، والمنازع، ومن الخلل الذي قد يأتي من الجمود على مفاهيم خاطئة، وعدم المراجعة بين كل فترة وأخرى، أو من ضعف شبكة العلاقات الاجتماعية، الناتج عن ضعف التربية، وقلة الفقه بخفايا النفس البشرية، أو من الغفلة عن أصحاب المطامع والأهواء.

• هناك من الناس من يتخلى عن الدعوة إلى الله بحجج ليست واقعية يضحّمها لهم شياطينهم من الجن والإنس فيعيشون في أفق ضيق يدور حول مصالحهم الشخصية لم يهتموا بشئون المسلمين ولم يغاروا حين انتهكت حرّامات الدين، يقول تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا]، هؤلاء القاعدون على هامش الحياة أصفار لا قيمة لهم، لقد ظلموا الحق الذي من أجله خلّقوا، وظلموا الرسالة التي أنيطت بهم حين قعدوا، فبماذا يُجيبون وقد حضرت الملائكة لتتوفاهم وهذا حالهم! ومن الناس من يجلس مستريحا يعلل نفسه بالكذب والإدعاء الباطل قائلا: لا بدّ من التريث.. ويبقى التريث شعارا أبديا

لا بدّ منه، إنّه الستار الذي يُخفي به هؤلاء ضعف إيمانهم وعجزهم وكساحهم.. فهم الذين قالوا: [..رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا]، وهذا لا يصدر ممن (يعلم أن الآجال محدودة والأرزاق مقسومة..إلا أن يكون قائله ممن لم يرسخ في الإيمان قدمه ولا انشرح بالإسلام جنانه)².

وربما كان القعود بسبب وسوسة شيطانية مفادها أن ضريبة العزّ باهظة الثمن! والحقيقة غير ذلك، (فحين كان بنو اسرائيل يؤدون ضريبة الذل لفرعون وهو يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم لم تتدخل يد القدرة لإدارة المعركة.فهم لم يكونوا يؤدون هذه الضريبة إلاّ ذلا واستكانة وخوفا.فأمّا حين استعلن الإيمان، في قلوب الذين آمنوا بموسى واستعدوا لاحتمال التعذيب وهم مرفوعوا الرؤوس يجهرون بكلمة الإيمان في وجه فرعون دون تلجج ودون تخرج، ودون اتقاء للتعذيب.فأمّا عند ذلك فقد تدخلت يد القدرة لإدارة المعركة، وإعلان النصر الذي تمّ قبل ذلك في الأرواح والقلوب)².

• إن الدعوة الى الله تحتاج إلى حركة ودعوة وكلمة وبيان وحجة لا قعود ودعة وراحة ففي قصة موسى نموذج فريد لأصحاب الهم الدعوي والهمم الذين الذين يعشقون القمم إن قصة موسى عليه السلام مع فرعون علمتنا دروسا عديدة من أهمها أن الظلم لا يزول إلا بالمدافة بسنن الله الكونية والشرعية ولا نصر للقاعدين.

في ختام هذه الرسالة اذكر نتائج البحث التي توصل إليها الباحث وأخصها على شكل نقاط مركزة .

١ - النساء: ٧٧ .

٢ - تفسير القرطبي ٥ / ٢٨١ مع بعض التصرف . مرجع سابق .

٣ - في ظلال القرآن ٥ / ٤٨٧ . مرجع سابق .

وهذه هم النتائج التي توصلت إليها بعد هذا البحث:

١. إن قصة موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون قد اشتملت على دروس وعبر حمة وبالتأمل والتدبر في القرآن الكريم نستطيع أن نستخلص الكثير منها.
٢. تكرار قصة موسى مع فرعون في القرآن الكريم لم يأتي عبثاً وإنما له حكم وأسرار من أهمها أن كل قصة أتت بشيء لم يأتي في غيرها أو ركزت على أمر معين يتناسب مع الموضوع والمحور العام للسورة.
٣. الدعاة إلى الله تعالى في أمس الحاجة إلى التأسى بالأنبياء في دعوتهم وخصوصاً موسى عليه السلام لأنه نموذج للمواجهة مع الطواغيت.
٤. إن من أهم ما ينبغي أن يركز عليه الدعاة في بداية دعوتهم للناس هو الدعوة إلى التوحيد والبعد عن الشرك
٥. الدعوة إلى الله تعالى تستلزم التبرؤ التام من المشركين ومعاداتهم وموالاتة المؤمنين .
٦. يجب أن تكون مسألة الإلحاح بالبعث والنشور عقيدة راسخة في نفس الداعية يضعها نصب عينية ويجعلها واضحة امام المدعويين ففيها اختصار للمسافة وتقريب للفجوة بين الداعية والمدعويين.
٧. إن الدعوة إلى الله فن يحتاج إلى مهارة وأساليب متنوعة لتحقيق الغاية وهي تعبيد الناس لرب العالمين.
٨. يجب أن يكون الدعاة إلى الله تعالى هم أول من يمثل لما يدعو إليه فيكونون قدوات حقيقية للناس يدعون بأفعالهم قبل أقوالهم وإلا فإن كلماتهم ستضل كلمات جوفاء لا معنى لها
٩. إن الداعية الناجح هو الذي يوازن بين الترغيب والترهيب فلا يقنط الناس بتغليب الترغيب ولا يؤمنهم بتغليب الترغيب.

١٠. لا بد أن يتعلم الدعوة إلى الله من موسى عليه السلام أدب الحوار والمناظرة ويستخدموا الحوار كوسيلة أساسية من وسائل الدعوة لا سيما في العصر الحديث الذي بات الحوار من أهم المقومات للتخاطب بين الأمم والشعوب.
١١. من الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أسلوب الوعظ والمجادلة والتي هي أحسن فقد استخدمها موسى عليه السلام في دعوته فكانت دعوة مثمرة.
١٢. إن عوامل نجاح دعوة موسى لفرعون ممكن أن يستفيد منها الدعوة إذا فهموها وعملوا بها.
١٣. من أهم عوامل النجاح في قصة موسى عليه السلام لفرعون الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية.
١٤. إن مما ينبغي على الدعوة ألا يغفلوا عن السنن الكونية في دعواتهم فيبدلو الأسباب ويتوكلوا ولا يركنوا فيتواكلوا
١٥. إن طريق الدعوة طريق محفوف بالمخاطر ويحتاج من سلكه إلا زاد متين من الصبر واليقين.
- وختاماً فهذا ثمرة جهد المقل أقدمه لنفسه عند الله، وقد بذلت أقصى ما أستطيع لإخراج هذا البحث في أحسن صورة، فإن أصبت فتوفيق من الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



قائمة المراجع والمصادر

- ١ - ابن الجوزي: أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (٥٠٨-٥٥٩٧هـ)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، جزء واحد، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ٢ - ابن الجوزي: أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (٥٠٨-٥٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ٩ أجزاء، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ٣ - ابن الجوزي: أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (٥٠٨-٥٥٩٧هـ)، صفوة الصفوة، ٤ أجزاء، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٤ - ابن القيم الجوزية: أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (٦٩١-٧٥١هـ)، التبيان في أقسام القرآن، جزء واحد، دار الفكر.
- ٥ - ابن تيمية: أبو العباس، أحمد بن عبد الحلیم الحراني، (٦٦١-٧٢٨هـ)، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، ٦ أجزاء، تحقيق: محمد السيد الجليلند، ط٢، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ.
- ٦ - ابن تيمية: أبو العباس، أحمد بن عبد الحلیم الحراني، (٦٦١-٧٢٨هـ)، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، ١٧ جزء، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية.
- ٧ - ابن حجر: أبو الفضل، أحمد بن علي العسقلاني. (٧٧٣-٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣ جزء، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

- ٨ - ابن خالويه: أبو عبد الله، الحسين بن أحمد. (٣١٤ - ٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبع، جزء واحد، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط٤، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ٩ - ابن زنجلة: أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد. حجة القراءات، جزء واحد، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢ - ١٩٨٢.
- ١٠ - ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية.
- ١١ - ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، قصص الأنبياء ص ٢٥٨ تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز مكتبة دار الثقافة ط٥ ١٩٩٦ م.
- ١٢ - ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (٧٠١-٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ١٤ جزء، مكتبة المعارف، بيروت.
- ١٣ - ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (٧٠١-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، ٤ أجزاء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ١٤ - ابن ماجه: أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، (٢٠٧-٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، جزءان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- ١٥ - ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري، (٦٣٠-٧١١هـ)، لسان العرب، ١٥ جزء، ط١، دار صادر، بيروت
- ١٦ - ابن هشام: أبو محمد، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ٦ أجزاء، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٤١١هـ.

- ١٧ أبو السعود: محمد بن محمد العمادي، (ت ٩٥١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٩ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٨ أحمد فتحي بن جمعة - بحث تكميلي قدم لنيل درجة الماجستير في كلية معارف الوحي والتراث - الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ١٩٩٧. (غير منشور)
- ١٩ للألوسي: أبو المعالي، محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين، (١٢٧٣- ١٣٤٢هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٣٠ جزءاً، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٠ للباقلائي: أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، إعجاز القرآن، جزء واحد، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط ٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ٢١ للبخاري: أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل الجعفي، (١٩٤- ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، ٨ أجزاء، تحقيق: هاشم الندوي، دار الفكر.
- ٢٢ للبخاري: أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل الجعفي، (١٩٤- ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المختصر، ٦ أجزاء، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ٢٣ للبدر: عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر - مجلة الدعوة - العدد ١٦٧٥ - ١٤١٩ هـ.
- ٢٤ للبغوي: أبو محمد، الحسين بن مسعود الفراء، (ت ٥١٦)، معالم التنزيل، ٤ أجزاء، تحقيق: خالد العك - مروان سوار، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- ٢٥ للبغوي: الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة دار النشر: المكتب الإسلامي - دمشق _ بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش
- ٢٦ للبضاوي: (ت ٧٩١)، تفسير البضاوي، ٥ أجزاء، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٧ للبيهقي: أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى، (٣٨٤هـ - ٤٥٨هـ)، سنن البيهقي الكبرى، ١٠ أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٨ للترمذي: أبو عيسى، محمد بن عيسى السلمى، (٢٠٩-٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ٥ أجزاء، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٩ للثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ٤ أجزاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- ٣٠ للثوري: أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق، (ت ١٦١هـ)، تفسير سفيان الثوري، جزء واحد، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٣١ لجزائري: أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة. ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٢ لخصاص: أبو بكر، أحمد بن علي الرازي، (٣٠٥-٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، ٥ أجزاء، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

- ٣٣ لحاكم: أبو عبدالله، محمد بن عبدالله النيسابوري، (٣٢١-٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، ٤ أجزاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٣٤ لخالدي، صلاح عبد الفتاح. القصص القرآني. عرض وقائع وتحليل أحداث دار القلم. ط١. ١٩٨٣.
- ٣٥ لخالدي: صلاح عبد الفتاح. البيان في إعجاز القرآن، جزء واحد، ط٣، دار عمّار للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، سوق البتراء، قرب الجامع الحسيني، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٦ للدليمي - معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم - عبد الوهاب بن لطف الدليمي (رسالة دكتوراة) - مكتبة الإرشاد صنعاء - الطبعة الثانية ١٩٨٩ م.
- ٣٧ للرازي فخر الدين محمد بن عمر ، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية بيروت ط١ عام ١٩٩٠.
- ٣٨ للرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت٧٢١)، مختار الصحاح، جزء واحد، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٩ للراغب الاصفهاني ، الحسين بن محمد بن المفضل ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق محمد سيد الكيلاني دار المعرفة بيروت.
- ٤٠ للزرقاني: محمد بن عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، جزءان، ط١، دار الفكر، بيروت، مكتب البحوث والدراسات، ١٩٩٦م.
- ٤١ للزركشي: أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله، (٧٤٥ - ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، ٤ أجزاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

٤٢ ذكريا: أبو يحيى الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، جزء واحد، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤٣ للزخشري: أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد، (٤٦٧-٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٤ أجزاء، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٤٤ للزهراي: أحمد عبد الله العماري الزهراي، تأملات من نبأ موسى وفرعون، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ١ ربيع الآخر (١٤٢٧).

٤٥ للسامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. د. فاضل صالح السامرائي. ط١. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ١٩٩٩م.

٤٦ للسعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.

٤٧ سعيد قطب، في ظلال القرآن، ٨ أجزاء، ط٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

٤٨ للسيوطي: أبو الفضل، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن الكمال (٨٤٩-٩١١هـ)، وجلال الدين محمد بن أحمد، تفسير الجلالين، جزء واحد، ط١، دار الحديث، القاهرة.

٤٩ للسيوطي: أبو بكر، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور، ٨ أجزاء، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

- ٥٠ للشوكاني: محمد بن علي بن محمد، (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٥ أجزاء، دار الفكر، بيروت.
- ٥١ للصنعاني: عبد الرزاق بن همام، (١٢٦ - ٢١١هـ)، تفسير القرآن، جزءان، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ.
- ٥٢ للطبراني: أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب، (٢٦٠ - ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، ١٠ أجزاء، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسين، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- ٥٣ للطبراني: أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب، (٢٦٠ - ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، ٢٠ أجزاء، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط ٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤ - ١٩٨٣م.
- ٥٤ للطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ٥ أجزاء، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ٥٥ للطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٠ أجزاء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٥٦ للطيالسي: أبو داود، سليمان بن داود الفارسي البصري، (ت ٢٠٤هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، جزء واحد، دار المعرفة، بيروت.
- ٥٧ عباس: فضل حسن، القصص القرآني إيجاهه ونفحاته، جزء واحد، ط ١، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٧م.
- ٥٨ عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، ط ٤.

- ٥٩ عمارة - فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام تأليف محمد أحمد عمارة الأستاذ بجامعة الأزهر - مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٩٩٧.
- ٦٠ للعمرة : فؤاد عبد الله العمر ، الأنس الجليل في قصة موسى وفرعون وبني إسرائيل ، مكتبة دار المنار الإسلامية . الطبعة الأولى .
- ٦١ للغزالي: أبو حامد، محمد بن محمد، (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، ٥ أجزاء، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ١٩٩٨ م.
- ٦٢ للفتياني تيسير المحجوب - الحوار القراءاني في قصة موسى عليه السلام . مركز الكتاب الأكاديمي . الأردن ط ١ عام ٢٠٠٤ م .
- ٦٣ للفراهيدي: أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد، (١٠٠-١٧٥هـ)، كتاب العين، ٥ أجزاء، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ٦٤ للفيروزآبادي: محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، جزء واحد.
- ٦٥ للمقرئبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، (ت ٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠ جزءاً، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط ٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- ٦٦ للمقيسي: أبو محمد، مكي بن أبي طالب، (٣٥٥-٤٣٧هـ)، مشكل إعراب القرآن، جزءان، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٦٧ للكرماني: محمود بن حمزة بن نصر، أسرار التكرار في القرآن، جزء واحد، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط ٢، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

- ٦٨ للمحاسبي: أبو عبد الله، الحارث بن أسد بن عبد الله، (١٦٥-٢٤٣هـ)، فهم القرآن ومعانيه، جزء واحد، تحقيق: حسين القوتلي، ط٢، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ٦٩ محمد قطب، واقعنا المعاصر، ط١، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
- ٧٠ مسلم: أبو الحسين، بن الحجاج القشيري النيسابوري. (٢٠٦-٢٦١هـ) صحيح مسلم، ٥ أجزاء، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٧١ المصري: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم، (٨٥٣-٩١٥هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، جزء واحد، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ٧٢ المناوي : ، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى
- ٧٣ المناوي : تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، توقيف على مهيات التعاريف ، دار النشر: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية .
- ٧٤ المنحاس: أبو جعفر، (٣٣٨ت)، معاني القرآن الكريم، ٦ أجزاء، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.
- ٧٥ المنسفي: أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير المنسفي، ٤ أجزاء.
- ٧٦ النّووي: أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري، (٦٣١-٦٧٦هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨ جزء، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٧٧ للمواحيدي: أبو الحسن، علي بن أحمد، (ت٤٦٨)، الوجيز في تفسير الكتاب
العزیز، جزاءن، تحقیق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، الدار الشامیة،
دمشق، بیروت، ١٤١٥هـ.